

رواية من تأليف

سليمان

أبشورة

عدو الشمس

21



Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

إنها من نوع الأمسيات التي أفضل ...
(عبد الوهاب) يترنم في المذياع بإحدى قصائده
الفصحى القديمة .. تعرفون بالتأكيد تلك الأغاني التي
يهمهم فيها مع الموسيقى بين مقاطع الكلام ..
ما أروعها !

وأمامي ديوان شعر لـ (تاغور) الشاعر الهندي
العظيم .. الديوان مترجم إلى العربية لكن الترجمة لم
تفسد شيئاً من حرارة الكلمات ووهج العاطفة المنبعثة
من قلب عرف معنى التسامح مع الكون ..

أنا أيضاً تعلمت أخيراً كيف أفهم الكون وأحبه ، بعد
ما ضاع شبابه في محاولات خرقاء لتغييره أو تهذيبه .
اليوم فقط فهمت أن هذا هو (أفضل العوالم الممكنة)
وأنا حقاً لمحظوظون ...

هل حان وقت الكلام ؟ ..

إنن فلتسترح قليلاً يا (عبد الوهاب) أيها الملهم ..
ولتغف قليلاً يا (تاغور) العبقري .. ولا تغضبا مني ..
أنا لست ملهماً ولا عبقرياً مثلكما .. لكنني أملك

بعض حكايات (مسلية) للغاية ، كما كان (دumas)
يصف رواياته في آخر حياته ..

للأسف لا توجد لدى فرصة للاختيار اليوم .. فأنا
ملزم بأن أحكى لكم قصة (عدو الشمس) التي وعدتكم
بها بعد لقائي مع د . (لوسيفر) في (نيويورك) مع
حكايات (القاروت) ..

لست في حل من أن أوجل ذلك ، لأن غضبكم على
تأجيلي قصة الكاهن الأخير لم يهدأ بعد . وأنا لا أكرر
أخطائي مرتين إلا حين لا يكون أمامي سبيل آخر ...

دعونا إذن نصغ إلى قصة عدو الشمس ... وهي
خالية من الرعب تقريباً .. وهذا - حتماً - يناسب الآنسات
الصغيرات الجالسات هاهنا .. لكنها طريفة ومشوقة
وهذا - حتماً - يناسب الجميع ...

تعالوا معي عبر أحداث هذه القصة التي أعتقد أنها
ستكون أدق ما كتبت .. لأنها عبارة عن مذكرات كتبتها
في ذات وقت حدوثها .. وبالتالي لم يتدخل وهن الذاكرة
في حرف منها ..

وسأقدم لك هذه المذكرات كما هي دون تعليق ..

* * *

١ - حكاية صورة ..

الثلاثاء ٨ يوليو :

عادة غريبة هي أن يجلس المرء إلى مكتبه ليكتب
مذكراته .. خاصة إذا ما كان المرء إنساناً عادياً من
الذين تزخر بهم الطرقات وطواير المجمععات
الاستهلاكية .. ، في رأى أن من يجرؤ على هذا لابد
أن يكون من عينة (العقاد) أو (سعد زغلول) أو
(روميل) حيث تشكل الحوادث الصغيرة في حياته
(تاريخاً) حقيقياً تسترشد به البشرية من بعده ..

أما بالنسبة لفرد تقليدي مثل فلاد أن المذكرات لن
تزيد على : صحوت من النوم - أفطرت - ذهبت للعمل -
عدت من العمل - نمت - صحوت - خرجت - نمت ..

إن لمأذا قررت أنا أن أمارس هذه الجريمة !!

المشكلة هي أن الأيام تتراكم في مخزن ذكرياتي ..
زكائب من الوجوه وأكدا من العلاقات وسلال كاملة
من الوعود التي لم أف بها بعد ...

شعرت اليوم بأنني بحاجة إلى تنسيق كل هذا وإلا
فالويل لي .. وبما أنني - أصلاً - من النوع نافذ الصبر

الذى لا يواظب على التنفّس إلا لأنه يتم رغماً عنه ،
فإبنى لا أتوقع أن تستمر هذه العادة الذميمة طويلاً ...
أتوقع أن أواظب على الكتابة بضعة أيام .. شهراً أو
أكثر .. ثم أنسى الأمر برمته و (تعود ريمة لعادتها
القديمة) .. لا تخشوا شيئاً إذن ...

* * *

الأربعاء ٩ يوليو :

أشعر بخمول غير عادى بعد عودتى من (نيويورك) ،
وتلك الحكاية الغريبة التى كانت لى مع المدعو
(لوسيفر) .. لعله الحرّ .. لعله الإرهاق .. لعله
الشعور بالوحدة ..

لكننى أشعر بكلمات الأديب البرازيلى (ماشاو
دو أوسيس) : لا أدرى من أين أبدأ الحياة ! ..
لا أجد فى روحى الرغبة فى عمل أى شىء سوى
الجلوس فى الدار أقرأ كتباً عن السحر ، وأقاوم رغبة
التدخين التى تمزقتى .. أشعر بالحاجة إلى إخراج هذا
السمّ من حياتى بأى ثمن ...

أتحرّق شوقاً كى أذهب إلى المعمل لأرى تلك الصور
التي كنت التقطتها قبل سفري إلى (نيويورك) .. وهى
تلك الصور التى بنى د. (لوسيفر) عليها قصته
المرعبة الخاصة بى ..

القصة تتعلق بظالبين - فتى وفتاة - أحدهما من النوع
المسمى (عدو الشمس) أو (ألبينو) .. عرفت من
طلبتى أنهما زوجان .. وأنهما حديثاً الظهور فى كليتنا ..
وأنهما انغزاليان تماماً وميالان إلى الانطواء ...

أثارت ريبتى - فى أثناء رحلة القناطر إياها -
محاولتهما الدعوب من أجل الفرار من عدسة الكاميرا ،
حتى ظننت بهما الظنون .. إلا أننى نجحت فى التقاط
صورة لهما خلسة على سبيل العناد ، وأرسلت الفيلم
إلى المعمل ونسيت كل شىء عنه ..

إلى أن ذكرنى د. (لوسيفر) بالأمر حين قرأ لى
أوراق (التاروت) ، أما رؤيته الخاصة لما سيحدث
فهى أننى لن أجد أثراً للزوجين فى الصور عند عودتى
إلى مصر ..

التفسير : تفسير غريب ومضحك هو أح الزوجين
قادمان من عالم آخر ، ويتضح لى أنهما مخلوقان
بشعان لزوجان يههما بأى ثمن أن يستردا هذه
الصورة .

والنتيجة : يتسللان إلى شفتى لىلا ليستردا الصور ،
وتنتهى القصة بوفاتى - عليهما اللعنة - وبأبشع الطرق .
ملحوظة : إلى حد ما تذكرنى هذه الحكاية بحبكة فيلم

(تكبير) لـ (أنطونيوني) الذى عرض فى نادى سينما
القاهرة العام الماضى - ١٩٦٧ - وهو يناقش الصورة
التي تبدو فيها جثة .. ويكون على المصور أن يواجه
مطاردة لحوحا من فتاة تريد هذه الصورة ..

وطبعاً لم يكن (أنطونيوني) يتحدث عن الموضوع
من حيث كونه مرعباً .. بل ليوحى بعبثية وهراء ما
تكافح من أجله ..
ما علينا ...

غداً سأستجمع عزمي وأرتدى ثيابي وأحلق ذقتي
ثم أبحث عن الحذاء (ليتنى أنكر أين رميت هذا
الأحمق) .. وأذهب إلى معمل التصوير لأبحث عن هذا
الفيلم ...

* * *

الخميس ١٠ يوليو :

لقد فعلتها ... !

أى والله ! .. نجحت فى الانتصار على حالة الجمود
التي كنت أمر بها ، وخرجت إلى المستشفى ثم عرجت
على معمل التحميص إياه لأنكرهم بالفيلم ... لكن الفتاة
التي تعمل هناك (وهى بالمناسبة معتوهة نوعاً) قالت
لى وهى تتأمل الإيصال وتشهق :
- لكن هذا منذ شهر تقريباً .

ضغطت على أعصابى .. وقلت :

- لا أعتقد أن الأمر يتعلق بقصعة من الثريد لو لم
أسارع إليها لتفد الثريد منها .. هذا الفيلم ثابت .. ولو
أتنى تركته عامين فالمفترض أن أجده هاهنا .

- أعرف .. لكن .. المشكلة هى أن ...

وعكفت - مع فتاتين أخريين - نتفحص عشرات
الأكياس الورقية التي تحوى أفلاماً أخرى .. ثم هزت
رأسها فى تعاسة :

- هلا جئت غداً .. ربما كان ...

تصاعد الدم إلى رأسى :

- إذن فنظام هذا المعمل لا يزيد على نظام سوق
الأغنام ..

فى حرج قالت وهى تتصرف قاصدة زبوناً آخر :

- المشكلة أن حادث سطو قد وقع هنا منذ أسبوع ..

ومن لحظتها اختلط كل شيء .. ثم جاءت الشرطة لتزيد

الأمر سوءاً .. هيه !.. أفندم !.. متى أحضرت الفيلم ؟

تركتها وركبت سيارتى وأنا أشعر بأننى عوملت

باهمال لا أستحقه ..

وفى الطريق إلى دارى خطرت لى بعض أفكار أعتقد

أنها لا تخفى على ذكاء أحد ...

يجب أن أتأكد ..

أدرت قرص الهاتف في شفتى طالبنا (عبد المجيد)
صديقي المحاسب الذي يقطن في شقة تطل شرفتها على
معمل التصوير ..

وسمعت صوته الغليظ يتساعل عن هنالك .. فقلت
في غيظ :

- إنه أنا طبعاً يا أحمق .. من سواي ؟

- لكنك لم تقل حرفاً .. فكيف تتوقع مني أن ... ؟

- لا عليك .. قل لي .. متى وكيف سرق معمل التصوير
الذي أمام دارك ؟

- اهتمام غير عادي .. على كل حال هو سرق منذ
أسبوع تقريباً .. وسرقته لغز .. لأن المسارق لم يمس
شيئاً ذا أهمية سوى ... مجموعة من الصور
الفوتوغرافية والأفلام التي لم يتم تحميضها !
- هل أنت موقن بهذا ؟ ..

- حتماً .. إن (سليمان) صديقي و ... قل لي .. كيف
حالك أولاً ؟ ومتى عدت من (أمريكا) ؟ .. إن أسفارك
هذه ..

كان رأسي يهدر كمحرك توربيني عملاق ..
أجبتّه بعبارة قصيرة ، ثم جلست أفكر في مغزى
هذا ..

ظاهرياً يبدو الأمر كله مجرد صدفة .. لكنني - وقد
سمعت ما قاله د. (لوسيفر) - أشعر بهاجس معين.
لماذا لا تكون سرقة محل التصوير جزءاً من حماس
هذين الزوجين لاسترداد صورتها ؟!

يبدو لي الأمر كذلك ...

ولكن كيف عرفاً أنني اخترت هذا المعمل بالذات ؟ ..
للمرة الأولى أشعر بالذعر يغمرنى .. لا يمكن أن
يتنبأ (لوسيفر) بالمستقبل .. أنا أعترف له بقدرته
على رؤية الماضي - ربما عن طريق قراءة الأفكار -
لكن نبؤاته بصدد الغد أثبتت فشلها جميعاً ..
إن .. الأمر لا يعدو أن يكون صدفة ..
غداً - الجمعة - أعود إلى المعمل ، وأحاول أن أجد
صورى المأقونة هذه ...

* * *

الجمعة ١١ يوليو :

بعد صلاة الجمعة قصدت المعمل إياه ..
في هذه المرة لم أجد هناك سوى تلك الفتاة البلهاء ،
حيث أن الجميع انصرف لتناول الغداء .. فما إن رأيتني
حتى أشرق وجهها ، ومدت يدها تخرج لي كيساً ورقياً ..
وتقول :

٢ - لا مجال للملح ..

الجمعة ١١ يوليو (تابع) :

بيد ملهوفة رحت أتصفح الصور ..

يا للسخف ! .. كلها تظهر وجوها ضاحكة بلهاء

تتراص فى صفين .. الصف الأمامى جالس والصف

الخلفى واقف ، يحاول أفرادہ بأصابعهم أن يصنعوا

آذاناً لأفراد الصف الأمامى ..

كنت أعرف هذا ، وسمحت لنفسى به للأسف ..

ولعمري تلك هى مشكلة فن التصوير فى مصر ..

ما إن تصوب الكاميرا إلى مشهد طبيعى بارع الجمال

حتى تجد من يحشر نفسه حشراً فى الكادر ليرى كم هو

جميل .. وبعد ثمانية يحتشد عشرات المتطفلين حوله ،

ليغدو موضوع الصورة أبعد ما يكون عما كنت تزمع !

دعونا من هذه الملاحظات ...

آه ! .. ها هى ذى الصورة ...

فى لهفة أدرسها .. أقربها من عيني .. حسن ..

لا داعى لمزيد من القلق .. أنا أرى الفتى (الأبينى)

وزوجته الحسناء بوضوح تام من خلف كتف الطالب

- د. (رفعت إسماعيل) ! .. لقد وجدنا صورك !

سألتها وأنا أدرى الكيس فى جيبى وأناولها الإيصال :

- مرحى ! .. أين وجدتموها !

- كان الفيلم السلبي معلقاً فى غرفة التحميض .. فلم

يفطن إليه أحد .. شكرتها .. وغادرت المعمل .

الآن يمكننى أن أعرف الحقيقة ...

سأصاب باتهيار عصبى لو وجدت مكاناً خاويًا فى

هذه الصور .. لكننى كذلك سأصاب بخيبة أمل لو لم أجد

هذا المكان ...

سأنتظر حتى أصل إلى البيت .. وحين أخلو بنفسى

هناك يمكننى فهم الموضوع برمته ..

* * *



أنا أرى الفتى (الألبينو) وزوجته الحسنة بوضوح تام من خلف
كف الطالب إياه ..

إياه .. وأرى تلك النظرة فى عين الفتى إذ أدرك أنني
ألتقط الصورة ...

لقد كان د . (لوسيفر) يهرف بما لا يعلم إنن ..
هما مجرد زوجين طبيعيين يكرهان الفضوليين من
أمثالى .. وأنا الذى كدت أجن كى أرى هذه الصورة ! ..
لا داعى لمزيد من الهلع إنن ..

* * *

السبت ١٢ يوليو :

لا مفر من أن أقع فى شرك (التقليدية) من جديد ..
صحوت من النوم .. تناولت إفطاراً دسماً (أحاول أن
أزيد من وزنى بضعة كيلوجرامات بعد الإقلاع عن
التدخين) .. ذهبت إلى المستشفى .. عدت للبيت ..
طهوت لنفسى غداءً دسماً لنفس الأسباب السابقة ..
نمت .. صحوت .. خرجت .. عدت .. سأتأم بعد إنتهاء
هذه السطور إنن ..

(لا أدرى من أين يجيء أصحاب المنكرات بكل
الكلام الذى يكتبونه إلى حد أنهم يمثلون مجلدات كاملة) .

* * *

الأحد ١٣ يوليو :

ناديت (مدحت) - أحد الطلبة عندى - وقدمت له

مجموعة الصور السخيفة التي التقطتها مع الفيلم .. ،
وظللت منه أن يرفع عن عاتقى مهمة إعطاء كل
صاحب صورة صورته ..

كان (مدحت) شاباً نحيلاً عصبياً سريع الانفعال
والصراخ ، ممن يستعملون أنرعهم في التعبير أكثر من
اللازم .. وهو كثير الحركة إلى حد أنك تجد قميصه
دوماً وقد أبى أن يبقى داخل سرواله .. وتشعر كأنما
هو خارج من مشاجرة دامية طويلة الوقت ..

إنه يذكرني بشبابي إلى حد كبير ، ولعل هذا هو السبب
في أنني أستريح إليه .. وأثق به أكثر من غيره ..
قال لي (مدحت) وهو يحاول ألا يرفع صوته :
- هل يسمح وقتك ببضع دقائق يا د . (رفعت) ؟
- في الواقع يا (مدحت) .. أنا مشغول ..
حك رأسه في توتر .. ثم بلل شفته السفلى بلسانه
وغمغم :

- ثمة شيء ما يضايقني .. و

- إذن .. تعال لمكتبي غذا ..

وفارقتة وأنا أعرف - بالتأكيد - نوعية ما يضايقه ..
إن (مدحت) هو نموذج لذلك الشاب الطموح المندفع
صاحب شهوة (إصلاح الكون) .. إذن من الطبيعي أن
يكون هناك دوماً شيء يضايقه ..

لقد اعتدت منه - مثلاً - أن يجيء مكتبي ليقول لي
في هستيريا :

- سئمت الفقر والمرض !

كأنما - الأحمق - يتوقع أن عندي على مكتبي زرّين ..
زرّ خاص بمنع الفقر وزرّ خاص بمنع المرض .. وأن
شكواه لي ستدفعني دفعا إلى ضغط الزرين فيزول الفقر
والمرض !..

أحياتا أخرى يقتحم المكتب هاتفا :

- تباً للحروب !

فأمدّ يدي باحثاً عن زرّ (وقف الحروب) على
مكتبي ، لكنني لا أجد واحداً .. للأسف ..

إن موهبتي البارعة في الإلتصاق قد جلبت على
الوبال .. وأعرف عشرات يحسبون مهمتي في الحياة
هي الإصغاء لآلامهم وهواجسهم .. لا أكثر ...

إذن لي أن أتوقع أن (مدحت) يريدني لشيء من
هذا القبيل على غرار (يسقط الاستعمار) أو (فلتحى
الإرادة الفيتنامية) أو أي شيء قد يتفق عنه ذهنه ...
في المساء :

بالمصادفة البحتة قابلت د . (محمد شاهين) ..
أستاذ (الأثنوبولوجي) العتيد البريء كالأطفال .. ،

إن علاقتى بـ د . (محمد) تعود إلى ذلك اللقاء العاصف فى شقتى يوم كان يحسبنى أكل بشر .. ، بعدها التقينا مرات محدودة جداً كان آخرها ذلك اللقاء فى فيلا د . (سامى) ليلة راح كل منا يحكى خبراته مع الرعب .. ماذا كانت قصته هو ؟ .. لا أذكر بالضبط .. أعتقد أنه تحدث عن قط خائف بلا سبب .. وصديقه الشبيه بالشيطان .. ربما كان ذلك ... المهم ...

كان كلاًنا يشعر بالخواء والحاجة إلى رفيق .. ، فأنا عذب قليل الأصدقاء ، وهو أرمل فى الآونة الأخيرة ، وقد أدرت من نحوله وشحوبه أن أموره ليست على ما يرام .. ولا غرابة فى هذا .. فهو رجل يحتاج إلى زوجة عاقلة تمنعه من إيذاء نفسه أو ارتكاب حماقات تجلبها براءته القاتلة ..

جلسنا فى مقهى (الفيشاوى) .. العبق الساحر الذى لا يزول لحنى (الحسين) .. وذلك الحزن المرهف لليالئ الصيف ..

استنشقت هواء المساء .. وتسربت فـ شعيرة إلى جلدى .. ، أريد أن أبكى ولا أعرف سبباً لهذا .. لقد أعاد لى هذا الرجل ذكرى حاولت أن أتجاهلها طيلة الوقت حتى حسبتنى نسيت ...

لقد كانت (هويدا) موجودة فى كل لحظة قابلته فيها ! كلا .. لم يكن حباً .. بالتأكيد لم يكن كذلك .. لكنه شعور دام يؤلمنى .. سمه الألفة .. سمه الاشتياق .. سمه أى شيء .. ومن يدرى ؟ . لربما كان الأمر كله حنيناً إلى (رفعت إسماعيل) تلك الأيام التى لن تعود . حول كوبين من الشاي الجيد جلسنا نثرثر ... قرقرة الماء فى (الشيشة) التى يدخنها باحتراف حقيقى .. وصراخ النادل .. وارتطام أحجار (الدومينو) .. قال لى د . (محمد) وهو يضع المزيد من قطع الفحم بالماسك :

- ما هى آخر أخبارك ؟

- خواء .. لا أكثر ..

- أنت اخترت هذا لنفسك .. لماذا لم تتزوج حين كان

سنتك مناسباً ؟ ثم استدرك .. وقال فى حرج :

- لازالت سنتك مناسبة .. أعنى أنها كانت مناسبة أكثر !

قلت وأنا أذيب مزيداً من السكر فى الشاي :

- إننى (هاملت) المصرى .. البطل بلا بطولة ..

أتكلم وأتكلم لكننى أخشى أن أفعل .. لم أزل أعتبر من

يقدمون على الزواج شجعاناً إلى حد غير عادى .. ثم

من هى البطلة التى تتحمل إساتنا يقضى نصف يومه

في القراءة .. ونصفه في النوم .. ونصفه الثالث - إن كان له نصف ثالث - في الاكتتاب ؟

- .. والنصف الرابع في مواجهة الأضباح !..

ثم إنه قال لي وهو يجرع جرعه الأولى من الشاي :

- عندي لك عروس مناسبة .. فقط إذا كنت جادا ..

تشاءبت .. وقلت في تعاسة

- أنا متحمس .. لكن لا تبدو الحماسة على ملامحي .

- إذن نلتقى هنا غدا لترتب اللقاء ..

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

عندي اليوم موعدان يثيران فضولي إلى حد ما ..

الموعد الأول : مع (مدحت) الطالب المتحمس إياه .

الموعد الثاني : مع د. (محمد شاهين) ليلا للحديث

عن زيجتي القادمة . وإليك ما حدث ...

في العاشرة صباحا كنت جالسا في مكتبي منهمكا في

كتابة إحدى الأوراق العلمية ، حين سمعت من يقرع

الباب مستنذنا للدخول ..

رفعت عيني فوجدت (مدحت) على الباب .. وعلى

كتفه تتدلى حقيبة يد صغيرة ..

أشرت له أن ادخل ففعل .. أشرت له أن اجلس

فجلس ..

أشرت له أن تكلم سريعا .. فتكلم ..

وكان ما قاله مثيرا للاهتمام :

- أنت تعرف ياد. (رفعت) أنني من هواة التصوير ..

ثمة شيء غير عادي لاحظته في تلك الرحلة التي قمنا

بها معك إلى القناطر قبل سفرك .. سقط القلم من يدي

ونظرت له بإمعان .. فأردف :

- كنت أشك في الأمر حتى رأيت صورك وصور

صديق آخر كان يحمل كاميرا هو الآخر ... هل تأملت

الصور بعناية ؟!

ومذ يده لي حاملا مجموعة من الصور أخرجها من

الحقيبة .. فتناولتها منه دون أن أبعد عيني عن

عينيهِ ..

هل سيقول هذا الفتى شيئا مما يجول بذهني ؟ ..

رحت أتصفح الصور دون كلمة .. لم أر ما يشير كل

هذا الوجع لديه .. كلها مماثلة لصورى أنا .. ذات

الوجوه الضاحكة في بلاهة ..

قلت له محاولا أن يبدو صوتي هادئا :

- ماذا تراه هنا ويشير ريبتك ؟ ..

اتسعت عيناه وتناول صورة منها ليشير إلى شخص

يقف فيها :

٢ - أين أنا ؟

الاثنين ١٤ يوليو [بقية] :

شعرت - كما هو متوقع - بالذهول ..

كان هذا آخر شيء أتوقع أن يقوله لى الفتى ..

إن ف د . (لوسيفر) لم يكن مخطئاً على طول الخط .. ثمة شيء من صواب فيما قال .. لكنه أخطأ بصدد الشخص !!

كنت شاردًا في كل هذا بينما الفتى يضيف :

- .. وحين رأيت صورتك أدركت أنه من المستحيل أن أكون واهماً .. لأن صورتى وأنا أحمل الكاميرا وأصوبها تجاهك واضحة في عشر لقطات على الأقل .. بمعنى أنه كان المفترض أن أجد بدورى عشر لقطات تبدو أنت فيها حاملاً الكاميرا .. !

وابتلع ريقه :

- من المعتاد - عند وجود مصورين لذات الحدث - أن يظهر كل منهما مراراً على فيلم الآخر ...
بللت شفتى بلساتى .. وتأملت الصور :
- هذا حق .. ولكن لا بد من تفسير ما ...

- هذا هو (شريف السعدنى) .. وهو يتحدث إلى شخص ما .. ، وهذه الصورة .. يبدو فيها (ماهر) وهو يضع يده على كتف شخص ما .. ، أذكر هذه الصور جيداً لأننى لم أنتقطها بنفسى .. هناك صديق التقطها لنا ليظهرنى ضمن المجموعة ..
- إن هذا ليس مبرراً كافياً للذعر فيما أرى ..

- كلا .. أنت لا تفهمنى ..

وفى لهجة أثارت الرعب فى قلبى غمغم :

- أين أنت ؟ .. لا أجدك فى أية صورة برغم أن (شريف) كان يحدثك .. و (ماهر) كان يضع يده على كتفك أنت !! ..

!.....

* * *

إن كنت واهماً بصدد الزوجين ..
واحد فقط كان يستحق أن أبحث عنه في الصور
يشك .. وهذا الواحد هو أنا ... ! ...
تساءل (مدحت) في قلبي :
- هل تمك تفسيراً لهذا يا د . (رفعت) ؟
- بالطبع لا أمك .. كل ما أعرفه هو أنني لست شبيخاً !
قال وهو ينهض ويجمع صورته :
- أنا أعرف أن لديك خبرة بهذه الأمور .. لهذا ...
- أية أمور !؟ ..
شعر بأنه محرج .. وارتجفت يداه وهو يقول :
- هذه الأمور .. أعنى .. كان واجباً أن أتبهك ..
لربما هو داء عضال في بدايته ... أو ...
قلت له في جدية :
- اسمع .. أريد أن تبقى هذه الصور معي .. أريد
كذلك أن يظل هذا الموضوع سرّاً بيننا ..
- أنت تعرف أنك تستطيع الاعتماد على يا د . (رفعت) .
وكانت هذه هي بداية اليوم ... ! ..
ويا لها من بداية غير عادية ! ...
كان أول شيء فعلته بالطبع هو أن ذهبت لأتأكد من
أن وجهي موجود في المرأة المعلقة في الحمام ..

كل شيء كما هو .. ذات القبح والتحول والصلع
والحمد لله ..

ثم إنني تركت العمل مبكراً ، وهرعت إلى أحد
استديوهات التصوير حيث طلبت أن يصورني من أجل
جواز السفر بضع صور ...

كنت متأنقاً في هذا اليوم بشدة وهذا من حسن حظ
الصورة .. لكن المصور وقف خلف الكاميرا ، ودارى
رأسه بمنفاخها بعض الوقت .. توطئة لأن يبرز رأسه
من جديد ليقول في كياسة :

- هل ترى أن نؤجل هذه الصورة بعض الوقت حتى
يكون مظهرك ملائماً !؟

عليك اللعنة ! .. إنني لفي أفضل حالاتي اليوم ..
- إنه ملائم بالفعل !

وهكذا التقط لي الرجل الصورة غير مقتنع ..
ودعاني أن أزوره غداً لتسلمها ...

- وهل من طريقة لتسلمها الآن ؟ ..
- للأسف .. مستحيل (*)

هذا عن منتصف اليوم ..

(*) لا تسوا أن الأحداث في نهاية الستينات .. حين كانت الصور
الفلورية نوعاً من قصص الخيال العلمي ..



كان جالساً على ذات المائدة يدخن الشيشة واحضاً ساقاً على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه ..

أما عن نهايته .. فقد ذهبت إلى (الفيشاوى) فى المساء بحثاً عن د . (محمود شاهين) ..
كان جالساً على ذات المائدة يدخن الشيشة واضعاً ساقاً على ساق .. وقد استرخى كرشه أمامه .. وصلعته تلتمع بالعرق ..

فما إن رأتى حتى هش وبش .. وطلب لى فنجاناً من القهوة ..

قلت له فى كياسه رأبى عن تدخين أستاذ جامعى للشيشة .. فخلع منظاره السميك كاشفاً عن عينيه الضيقتين المنهكتين . وقال :

- التدخين نفسه عادة همجية .. نوع من العريضة الذاتية .. فإذا أنت رأيت رجلاً يحرق نفسه بموقد الكيروسين بدلاً من موقد الغاز ، فلا تلمه إلا على إحراق نفسه ...

- منطق لا بأس به ..

وأحضر النادل صينية عليها فنجان القهوة .. فجرعت جرعة ماء حتى لا أصاب بالقرحة (فأننا لم أذق طعاماً من ليلة أمس لأننى لم أجد عندى رغبة فى طهى إبطار ولا غداء ..) ..

شرعت أحدى له بعض الأكاذيب مستمتعاً بأنه يصدق

كل حرف مما أقول .. لولا البلهاء - كما قال (مارك
توين) - لما حقق الآخرون في هذا العالم أى نجاح ...
وبعد نصف ساعة طلبت منه أن يحكى لى عن هذه
العروس .. قال لى :

- هى تدرس الفلسفة فى كليتنا ، وقد فاتها قطار
الزواج لأنها انهمكت فى عملها إلى حد أنها لم تسمع
صفارته إذ يرحل ..
صحت فى حنى :

- يا سلام !.. ولماذا أتزوج واحدة فاتها قطار الزو ..؟
رأيت عينيه المرهقتين تحدقان فى عيني .. وسمعته
يقول :

- لك شخت حقاً يا (رفعت) .. ألم تفهم هذا بعد ؟
يا للآلم !.. أبداً لن يفارقتى الشعور بأننى مازلت
طفلاً .. أصغر من كل هذه الكلمات الكبيرة .. وفى
لحظة احتضارى لن أشعر سوى بأننى طفل يموت ..
لقد شخت حقاً ..

قلت منهمكاً مستسلماً .

- بنى .. أفهم .. حسن .. هل هى جميلة ؟
توقعت أن يقول : فاتنة .. وكان هذا سيثير قلقى ..
فأنا لا أتق بذوقه البتة .. فهذا الغريب لا يعرف حتماً

معنى كلمة (جميل) .. لكنه أراحنى إذ مط شفته
السفلى .. وهز كفه بمعنى أن ...

- بين .. بين .

لا بأس .. إذن هناك أمل .. مادامت لم ترق له ..

- وماذا عن شخصيتها ..؟

- بين .. بين .

وعائلتها ؟ ..

- بين .. بين ..

- وهل هى على شىء من الرجولة ؟

- بين بين ... ماذا ؟ .. هل تمزح ؟

قلت وأنا أرشف القهوة :

- ظننت عتياً أصابك فجعلك لا ترد إلا (بين بين) .

ثم وضعت الفنجان متسائلاً :

- ومتى وكيف أراها ؟

- تعالى إلى غداً فى تمام العاشرة صباحاً .. وسنجد

طريقة ..

وهكذا .. جلست أرمى الجالسين فى فضول .. وأدمن

بذور اللب بين أسناتى .. غريب أننى نسيت تماماً

ما حدث صباح اليوم .. بالتأكيد هو مجرد كابوس أو

خطأ محض .. سيتضح كل شىء لى غداً .. أما الآن

فلنحاول تسليّة د . (محمد) .. سألته في إغراء :

- هل تلعب الطاولة ؟

- بالتأكيد ...

- أنا لا ألعبها ...!

لا أدري لماذا أشعر بأننى أستفزّ هذا الرجل ..!

الثلاثاء ١٥ يوليو :

عرجت على ستوديو التصوير فوجدته مازال مغلقاً ..

إنّ سنرى شأن هذه الصورة حينما نعود إلى الدار ..

وهرعت إلى كلية الآداب ، فوجدت د . (محمد

شاهين) جالماً مع اثنين من طلبة الدراسات العليا ،

يحدثهما عن تصويره لما ينبغي أن تكونه الـ ... المهم ..

دعونا من هذا ...

بعد أن انصرفا سألتني عن سبب شحوبى .. هل هو

الحياء ؟ ..

- الواقع أن هناك ما يثير توترى هذه الأيام ..

ثم سألته مباشرة وبلا تمهيد :

- متى لا يظهر الإنسان في الصور الفوتوغرافية ؟!

- سؤال غريب حقاً !

وتأمل الأوراق التى بين يديه .. ثم قال :

- قالوا لنا : إن الأشباح لا تظهر .. وكذلك لا يظهر

مصاصو الدماء ..

- ألا يوجد تفسير آخر ؟

- لو كان هناك واحد فأنا لا أعرفه .. ولكن لماذا

تسأل ؟

قلت وأنا أنهض وأشير إليه أن يحذو حذوى :

- إن من لا يظهر فى الصور الفوتوغرافية لهو

إنسان فى مأزق .. إذ كيف يستطيع هذا البئس أن

يظهر فى صورة العرس ؟!

بدا الذهول على وجهه .. وظننت أنه يحاول أن يربط

الكلمات بعضها ببعض .. لكنه قال فى سذاجة :

- لا داعى لصورة العرس .. أنا لم آخذ صورة

عرس عندما تزوجت !

لن يفهمنى هذا الرجل أبداً ..

لن يعرف أبداً لحظات مزاحي من لحظات جدى ..

وذهبنا إلى قسم الفلسفة .. فياله من مكان محبط ! ..

كنت أتوقع أن أرى الفلاسفة الرواقيين جالسين على

درجات السلم .. وأن أجد من يمشى حاملاً فانوساً .. أو

أن أرى من يعيش فى برميل .. لكنه كان مكاتباً عادياً

جداً .. مكاتب .. وسكرتيرة تطبع شيئاً ما على الآلة

الكاتبة .. وبعض طلبة يسألون عن ميعاد امتحان

التخلف .. و ...

- دكتورة (كاميليا) ؟

كانت هناك .. تدير ظهرها لنا وتلتقط كتابًا ما من فوق أحد الرفوف ..

ولمحت شعراً مستثنائياً قصيراً .. وتايوراً رمادي اللون .. ويبدأ معروقة عصبية تتحرك هنا وهناك بحثاً عن صيد فلسفي جديد ..

شعرت بالهلع .. إنه كابوسي القديم .. سوف تستدير هذه المرأة لاكتشف أنها مسخ ذو أنياب .. أو أن لها رأس ذئب .. أو ..

لكن - لشدة الغرابة - رأيت وجهها رقيقاً ..

كانت ترتدى منظاراً أنيقاً يرتفع فوقه حاجبان متحديان .. وكانت تضع كمية هائلة من مساحيق التجميل .. لا أدري السبب في وجود علاقة طردية بين قوة شخصية المرأة وبين حبها لتلطيف سحناتها بهذه الأصباغ ، لتبدو كهندي أحمر من (الشيين) ذاهب لإحراق معسكر ...

وعلى الفور راح (الكمبيوتر) في رأسى الأصلع يصنف ويفند .. ويضع هذه المرأة في ملف من ملفات البشر التي أحتفظ بها ..

وكان الملف الذي دخلته د . (كاميليا) هو ملف

(المثقفة الهستيرية التي لا تهمد ، والمدافعة أبداً عن حرية المرأة) .. وهو ملف مناسب إلى أن أعرفها أكثر .

كانت (هويدا) موضوعاً في ملف (أتشى بلهاء تبحث عن عريس ، ولا تقرأ سوى حظها في الصحف) . وكانت (ماجى) موضوعاً في ملف (الصديق الذكى اللطيف) .. وأنا نفسى موضوع في ملف (المتشالم المكتئب الذى زاده الخوف من الكون تحولاً) . ورأيت (كاميليا) تتقدم نحونا وعلى فمها ابتسامة متحفظة .. وهنا عرفت حقيقة مروعة ..

عندما تنوى ان تبدأ مشروع زواج لا تصطحب معك أحداً .. وبمعنى أفضل .. لا تصطحب د . (محمد شاهين) بالذات .. إن هذا الرجل لفضيحة تمشى على قدمين ..

لقد راح يعرفنى بالدكتورة (كاميليا) وعلى وجهه ابتسامة خبيثة .. وراح يقول كلاماً واضح المعزى .. ويفغز بكلمات عينية .. و .. و .. حتى إننى تمنيت لو تحولت يدى إلى قذيفة نووية أدسها فى فمه ليخرس إلى الأبد ...

قالت لى بصوت رجولى قليلاً :

- فهمت أن سيادتك من المهتمين بالفلسفة ..

وقبل أن أرى صاح د . (محمد) فى حماس ، واللعب
يتطاير من شدقه :

.. - جداً .. جداً .. إن د . (رفعت) فيلسوف عالى
المستوى .. إنه يتفلسف فى كل مكان .. فى الشارع ..
فى العمل .. فى الفراش .. فى دورة المياه .. إن هذا
الرجل هو - ما شاء الله - (أرسطو) مصر !
قالت فى رزاة :

- عظيم ! .. سيكون من دواعى سرورى أن أتبادل
الحديث معك . ولكن ليكن ذلك فى وقت آخر .. حيث إن
ظروفى ...

ونظرت إلى ساعتها .. فهزرت رأسى بمعنى أننى
أقدر وأفهم .. ووليت الأدبار مع د . (محمد) ...
سألتى ونحن عالمان عما يجول بخاطرى ...
- لا أدرى - قلت له - لا أعتقد أنها تتاسبىنى أو أننى
أناسبها ..

- هو مجرد اتطباع .. تعال غداً بدونى وجانبها
أطراف الحديث ..

وهكذا ... تم تأجيل الحكم فى قضية زواجى ..

الآن جاء وقت العودة لدارى ..

عرجت على ستوديو التصوير لأخذ صورى .. قال

لى المدير فى حيرة : إنه آسف على الخطأ غير
المقصود الذى حدث ..

- أى خطأ !؟

- صورتك يا سيدى .. لم تلتقط .. وجدنا (النيجاتيف)
خالياً من وجهك الكريم .. وبرغم هذا كان المنظر
الخلفى موجوداً بكل تفاصيله .. لا بد أن خطأ ما قد حدث ..
ولكن .. يخيل لى أنك ترتجف يا سيدى .. ترتجف ! ..
فما هو السبب فى هذا !؟

.....

* * *

٤ - البحث عن سبب ..

الثلاثاء ١٦ يوليو :

انقطعت علاقتي بالعالم الخارجى ...

كان الذعر الذى عصفت بعالمى يفوق الوصف ...
إنن فالموضوع حق لا مزاح فيه ولا مبالغة ولا سوء
تفاهم ..

إن شيئاً ما شريراً يحدث لى ...

هرعت إلى المستشفى باحثاً عن د. (رأفت) زميلى ..
وهو رجل صموت كالقبر .. أتق بكفأته تماماً ..

حكيت له ما كان بصدد الصورة .. فبدأ غير مصدق .
- لا توجد سابقة علمية تحكى عن شيء كهذا ..

- إذن فما هو التفسير .. ؟

- خطأ بسيط .. ظن ذلك الطالب أنه التقط صورتك
ولم يكن هذا صحيحاً .. أما المصور فكان شارذ الذهن
حين التقط صورة لم تكن أنت قد جلست أمامه فيها .

- يبدو لى هذا مبالغاً فى الاستنباط ..

- لكنه الحل الوحيد ..

ووضع يده على كتفى فى رفق .. وقال :

- أنا أسمع الكثير عن هوايتك للأمر الخوارقية
والأشباح والبيوت المسكونة .. أسمع الكثير فأصدق
ما أصدق وأكذب ما أكذب .. لكنى أعرف شيئاً واحداً ..
إن هذه الهواية ستدمر السور الفاصل ما بين الحقيقة
والوهم فى عقلك الباطن ..

- هل تعنى ؟ ...

- نعم .. كفّ عن لعب دور (صائد الأشباح) قليلاً ..
وفكر كطبيب ..

نظرت إلى عينيه مناشداً :

- هلا أجريت كل الفحوص الممكنة لى ؟ .. أريد
التيقن من أن شيئاً ما لم يصينى ..

- وما هى التحاليل الخاصة بمرض (التلاشى
الفوتوغرافى) هذا ؟

- لا أدرى ..

تنهد فى صبر .. وغمغم :

- سنقوم بتجربة كل شيء إنن ..

* * *

وهكذا تحول (رفعت إسماعيل) إلى فأر تجارب ..
أخذوا منى دماً يوازى ما سأل فى معركة (حطين) من
دماء .. رسم قلب .. رسم مخ .. فحص لقاع العين ..

عينات من كل سوائل جسمي .. والنتيجة : لا شيء ..
إذا ما تغاضينا عن تصلب الشرايين المبكر ، واتسداد
الشريان التاجي الرئيسي ، وتحلل شبكية العين ،
والربو ، والتهاب البروستاتا .. يمكن القول إنني
بصحة ممتازة .. وإن جسدي يعمل كما كان دائما .. إلا
أن الجزء الرديء من القصة بدأ حين وقفت لالتقاط
صورة بأشعة (رونتجن) لصدري ... وكانت النتيجة
هي أن الفنى عاد بوجه ممتع ليصارحني :

- ثمة خطأ ما .. الفيلم لا يظهر شيئا على الإطلاق !
- تعنى أن رنتي سليمتان؟
- بل أعنى أنه لا توجد رنة على الإطلاق ! .. لا يوجد
شيء !

هذه هي الضربة القاصمة إذن ...
الخطأ لا يتكرر ثلاث مرات من أشخاص مختلفين ...
ماذا قد حدث لي ؟ ...
لا أفهم .. ولن أفهم قبل أن أهدأ قليلا ..
* * *

الأربعاء ١٧ يوليو :
لم يحدث لي شيء غير عادي .. وهذا في حد ذاته
أمر مثير يستحق أن أكتبه في مذكراتي ...

الخميس ١٨ يوليو :

عشرة أيام على بدء كتابتي مذكراتي .. يبدو أنني
سأوظب على هذا العمل الأحمق فترة أكثر مما توقعت .
نتائج الفحوص التي أجريتها تتوالى ، وكلها طبيعية ..
لا يمكن القول إنني أعاني مرضا عضالاً معينا ..
سألت (رأفت) عن رأيه في كل هذا .. فحك رأسه
وقال .

- الحق أنني لا أدري ..
ثم ابتسم ونظر لي نظرة لا أفهم معناها :
- ما هي المشكلة في كون صورتك لا تظهر على
الأفلام ؟ .. ألا ترى معنى أن هذا في صالح القيم
الجمالية على كل حال !؟

صعد الدم إلى رأسي :
- يا سلام ! .. تريد أن أطمئن إلى ظاهرة مغايرة
لكل قوتين الطبيعية .. والكارثة هي أنني محور هذه
الظاهرة !..

- لكنك بصحة طيبة عموماً ..
ثم تنهد .. وقال في ملل :
- حسن .. هل ترى أن نستشير أحد المختصين بعلم
البصريات ؟



و حين عدت لدارى ، رحمت أحوال أن أضع تصورًا لما حدث لى ..

أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكارى ..

.. أفضل أن يظل الأمر فيما بيننا حتى أجد تفسيرًا ..
و حين عدت لدارى ، رحمت أحوال أن أضع تصورًا
لما حدث لى ..

أمسكت بورقة وقلم ودونت أفكارى :

أولاً : يوجد سبب ما يمنع انعكاس صورتى على
الأفلام .

ثانياً : هذا السبب قد يكون فيزيائياً أو ميتافيزيقياً .

ثالثاً : الأسباب الفيزيائية هى : تغيير معامل انكسار
خلاياى .. أو امتصاص جسدى لأشعة الضوء .

رابعاً : هذا التغيير الفيزيائى غير المسبوق ، قد ينجم
فرضاً عن تعرضى لإشعاعات معينة .

خامساً : السبب الميتافيزيقى لا يمكن التكهن به ..

ولكن .. ما هو سياق حياتى فى الفترة الماضية ؟

هل تعرضت لإشعاعات أو مؤثرات غير عادية ؟

يمكن القول إن آخر صورة رأيت فيها نفسى التقطت
فى (سويسرا) حين حلمت بذلك الحلم الكابوسى عن
الغرباء ..

بعد هذا واجهت جلسة تحضير أرواح فى دار (سام
كولبى) النصاب اليهودى ، وضعت فى عوالم (إنجار
الآن بو) .

وبعد ما حضرت جلسة (التاروت) مع د . (لوسيفر) .
إن فلو كنت قد تعرضت لمؤثر ما .. فهذا لم يحدث
إلا مع (كولبي) أو (لوسيفر) ...
طبعاً لا داعي لأن أضيف أنني لا أحلم في هذه
اللحظات .. وإلا كان الحلم تفسيراً مريحاً جاهزاً ...
إن رأسى يوشك على الانفجار ...
* * *

الجمعة ١٩ يوليو :

كوابيس شنيعة تطاردني طيلة ليلة أمس ...
تارة أجدني في كهف مظلم وسط حشد من الشياطين ،
يقومون بتنصيبى رئيساً لهم .. وهو شرف لا أرحب به
على الإطلاق .
وتارة أخرى أنا كائن شفاف كف عن أن يكون مادياً ..
وأبدأ في التساؤل بقلق : هل هذا هو الموت !!؟
وأنا يا رفاق أخشى الموت كثيراً .. ولست من هؤلاء
المدعين الذين يرددون في فخر طفولتي : نحن لا نهاب
الموت .. كيف لا أهاب الموت وأنا غير مستعد
لمواجهة خالقي !! .. إن من لا يخشى الموت هو أحمق
أو واهن الإيمان .. وكفاتي أن (عمر بن الخطاب) -
رضي الله عنه - أعلن أنه يخشى الموت كثيراً .. فأين
نحن منه ؟ ..

لهذا يمكنكم تصور شعوري وأنا أحلم بأنني توفيت
حقاً ! ..

أصحو من النوم غارقاً في العرق البارد ، فأدخل
الحمام .. وأتأمل وجهي المنتفخ المرهق في المرآة ...
وهنا أتذكر شيئاً نسيته تماماً .. لماذا لم أعد لمقابلة
د . (كاميليا) ؟ ..

كان التسيان قد حاصرني في ركنه الضيق المظلم منذ
أيام ... فلم يعد عندي متسع للتفكير فيها ...
وقبل أن أتخذ قراراً دق جرس الهاتف ..
هرعت لأرد وأنا - كالعادة - أتوقع مصيبة ..
سمعت صوت امرأة خشناً كالرجال يسألني :

- د . (رفعت) ؟

-

- هذه أنا .. (كاميليا) ! ..

- (كاميليا) من ؟

- هل نسيته ؟ .. قسم الفلسفة .. يوم الثلاثاء الماضي .
يالها من مصادفة ! .. وكيف عرفت هذه السيدة
- أعنى الآتية - رقم هاتفي ؟ .. وكيف جرؤت على ..
- .. مرحباً يا دكتورة .. أنا .. أنا ...

- لم نرك ثانية لاستكمال حديثنا الذى لم يبدأ ..
 رأيت أن أتخذ أنا الخطوة الأولى ..
 - و ... ورقم هاتفى ؟
 - أعطانيه د . (محمد شاهين) .. كنت أعرف أننى
 واجدة إياك صباح الجمعة حتماً ..
 - ب .. ب .. برافوا !
 سألتنى فى لهجة عملية :
 - ما هو برنامجك اليوم ؟
 - ب .. برنامجى ؟ .. سأطهو طعام الغداء وأصلى
 الجمعة ثم أعود لأكله .. وبعد ذلك ...
 - حسن .. نلتقى فى السابعة مساءً عند ...
 وذكرت اسم إحدى الكافتيات .. ثم ودعتنى دون أن
 تترك لى فرصة الاعتراض ، وأنها المكالمة ..
 شعرت أن اللترات الخمسة من الدم الموجودة فى
 عروقى ، قد احتشدت كلها فى رأسى .. واحتشد لقران
 منها فى أننى ...
 هل حقاً سمعت ما سمعته ؟ ..
 لقد عرفت كثيرات بدءاً بفلاحات قرىتى وانتهاءً بينات
 الأسر العريقة المتحذلقات فى (إنجلترا) .. لكنى لم أر
 قط هذه الجرأة الوقحة .. التى أثارته حفيظة فلاح
 (الشرقية) الرابض فى أعماقى ...

وقلت لنفسى : إن هذه العانس تحاول ان تطبق
 قيودها حول الأحق الذى جاءها يسعى طالباً الزواج
 منها .. هذا هو التفسير الوحيد ..
 إلا أننى - فى تمام السادسة مساءً - وجدت نفسى
 أرتدى البدلة الكحلية التى تجعلنى فاتناً (وهذا رأىى
 الخاص طبعاً) .. ورباط العنق الذى اشتريته من
 (نيويورك) .. وقمت بتمشيط الشعر الأثيب على
 جاتبى رأسى بعناية .. لماذا أفعل ذلك ؟ .. يا له من
 سؤال ! ..

وفى تمام السابعة دخلت إلى الكافتريا أبحث عنها ..
 وكانت جالسة فى ركن القاعة إلى احدى الموائد ..
 تتابع الموسيقى القادمة من مكان ما بحركات انسيابية
 من يدها ...

الذى أثار هلعى أكثر من غيره هو أنها تمسك بين
 أناملها لفافة تبغ ! .. أبداً لن أبتلع فكرة الأثى المدخنة
 مهما اتسعت نظرتى لتحوى الكون ذاته ..
 يجب أن أقر .. يجب ..

لكنى لم أفعل ...

مشيت نحوها وحيبتها بهزة من رأسى وجلست ...
 قالت بالإنجليزية : إننى دقيق فى مواعيدى ، ثم
 قدمت لى عبئة سجائرها .. فهزرت رأسى أن لا ...

- غريب هذا ..!.. قالوا : إنك تدخن كمحرقة الجثث .
- كنت .. أحاول أن أموت بسبب آخر غير هذا ..
وعلى كل حال .. من هم الذين قالوا لك ؟

- كثيرون .. إننى أعرف عنك أشياء عديدة ..
جاء النادل يرمقنا بشك ، وعلى ثغره بسمة خبيثة ..
فطلبت قدحاً من الليمون ، ثم تذكرت أننى يجب أن
أكون سخياً هذه الليلة .. فطلبت قدحين ..
وبدأت (كاميليا) تتكلم ..
ولم يكن كلامها غيباً أو مملأ بحال .. فهي تعرف
ما تتكلم عنه ..

تحدثت عن الفلسفة وعن دورها فى الحياة ، وعن
ثقافة المرأة ونظرة المجتمع إلى استقلاليتها .. ، وعن
تخلف الفكر الذى يرفض مشاركتها الرجل فى كل شيء ..
ثم سألتنى :

- هل تحب الفلسفة ؟

درت بعينى أتأمل المواد حولنا .. ثم قلت بحذر :
- أعتقد أنها (فن إضاعة الحياة) .. الحديث عن
القيثارة بدلاً من العزف عليها ..

- إن ما تقوله فهو نوع من الفلسفة ..

- ربما .. لكنى لست فخورةً بذلك ..

برغم كل شيء كنت أشعر بعدم راحة لجلوسى معها ..

لم أمل طويلة حياتى لهذا النمط من النساء المتحديات
المستفزات اللواتى يملكن نوعاً من الرجولة لا تخطئه
العين ..

قالت لى وهى تشعل لفاة أخرى :

- أردت أن أقول لك : إنك لم تعد التعامل مع عقل
امرأة .. وأنا سأكون عقلاً صديقاً لك .. أعرف أنك
تتعامل مع الخوارق بكثرة .. ولسوف تحتاج إلى من
يفكر معك ويحلل معك ويفند معك .. دع هذا الدور لى ..
- هل تهتمين بهذه الأمور حقاً ؟

- حتماً .. ولهذا حرصت على الظفر بصداقتك ..

هل هى جادة ؟ .. إنن فالأمر لا يتعلق بالزواج ..
إنها تلعب معى دور الصديق الذكر الذى سيعيننى فى
حل مشاكلى ..

وكأتما عرفت ما يدور بذهنى ، قالت محذرة :

- لكنى أذكرك .. إن لقاءنا لقاء عقليين .. فإذا حاولت
أن تلعب دور فاتن النساء معى ؛ فإن هذه ستكون نهاية
صداقتنا ..

صديق ؟ .. يا له من عرض مغر .. ! .. أنا أحتاج
الآن إلى صديق أكثر مما أحتاج إلى زوجة .. لماذا
لا أجرب هذا العقل الآن وأصارحها بمشكلتى التى تبدو
بلا حل ! ..

رشفتم جرعة من الليمون ، ورحتم أحمى لها قصتمى
مع الصور الفوتوغرافية .. بينما هى تصفى لى ..
عينها الرماديتان لا تطرفان إذ تحدقان فى عينى بثبات
خلف زجاج منظارها ..

- وهكذا ترين أننى لا أملك أى تفسير لهذا ..

ساد الصمت برهة .. وكادت تفتح فاهها لولا أن
سبقتها قاتلاً

- .. ولا تقولى إننى (وهم) كعادة الفلاسفة .. فأتنا
لن أفهم هذا السخف ما حبيت ...

ابتسمت بثقة .. وغمغمت

- قصة غريبة حقاً .. لكن دعنا نتحدث بصيغة

فلسفية .. أنت تراتى بمواصفات معينة .. غيرك يراتى
بمواصفات أخرى .. من هو المحق ومن المخطئ ؟ ..
من أنا حقاً ؟ .. هل تفهم ما أريد قوله ؟

- لا ...

- أعنى أن ما رأتة الكاميرا هو حقيقتك ..

- تعنين أننى شفاف دون أن أبدو كذلك ؟

قالت وهى تدفن لفاة التبغ فى المطفأة :

- أعنى أنك تتحول تدريجياً إلى شبح ياد . (رفعت) .

.....

* * *

٥ - عدو الشمس ..

السبت ٢٠ يوليو :

صحوت من نومى ، فنهضت لأفتح خصاص النافذة .

وبدلاً من أن ينسكب ضوء شمس الصيف البهيج

ليفترش الغرفة ، شعرت أن دلواً من حمض (الكبريتيك)

قد انسكب فوق جسدى كله - ملايين الإبر الدقيقة

تنغرس فى لحمى ...

ماذا أصاب الشمس ؟ .. ماذا حدث ؟ ..

أغلقت النافذة بإحكام ، وهرعت إلى الداخل ..

وأمام المرأة تأملت وجهى ..

لا مجال للشك ! .. إن حروقاً صغيرة من الدرجة

الأولى تنتشر على جلدى ، وتحيط العينين وركنى الفم ..

ماذا دهاتى وأنا نائم ؟

هل أصبت بحساسية مفرطة تجاه الشمس ؟ .. أم

أصبت بالبورفريا ؟

أم .. ماذا أقول ؟ ...

كدت أحاول ثابته لكننى أشفقت على وجهى من مزيد

من الألم .. طفقت أدهن وجهى بالجلسرين .. ثم هرعت

إلى الهاتف ، وطلبت د. (رأفت) فى داره ..

- هذا أنا .. (رفعت) ..

- أرجو أن تكون فى مصيبة تبرر إيقاظى قبل
موعدى بساعة .

- بالفعل .. لقد أصبت بحساسية مفرطة تجاه ضوء
الشمس .. ولن يكون باستطاعتى الخروج للعمل ..
إبنى

وارتجف صوتى على الرغم منى :

- (رأفت) .. ماذا يحدث لى ؟ .. أنا خائف !

قال فى توتر :

- يا للهول ! .. سأكون عندك حالاً يا (رفعت) ..

فلا تخش شيئاً .. ووضع السماعة ..

بعد نصف ساعة كان فى دارى ..

شرع يتفحص الحروق فى وجهى باهتمام بالغ ..

وإزدادت تجاعيد وجهه عمقا وجدية ...

ثم إنه قال وهو يجلس على الأريكة :

- هذا غريب !

فى حنى صحت :

- هل هذا هو كل ما تستطيع تقديمه لى ؟

وضع ساقا فوق ساقى ، وغمغم وهو يعقد ذراعيه

على صدره :

- دعنا نتعقل قليلاً .. أريد أن تحكى لى كل شىء من

جديد ..

..... -

* * *

... وهذا هو كل شىء ..

قال وهو ينقل ساقيه :

- لاحظت أنك تجاهلت الطالبين - الزوج والزوجة -

تماماً .. ونسيت كل شىء عنهما .. أرى أن نعيد البحث

عن حقيقتهم من جديد ، فلربما كانت لهما علاقة

بالموضوع ..

- يمكن أن يساعدك (مدحت) فى ذلك .. هل تعرفه ؟

ذلك الطالب المعتوه بالفرقة الرابعة .. إنها زميلاه ..

أما فيما يتعلق بى .. فما هو رأيك بالضبط .. ؟

نهض متثاقلاً .. وغمغم :

- الأمر يتلخص فى حساسية ضوء شديدة .. لقد

رأيت أسوأ منها .

- فى ليلة واحدة !؟

- ما أكثر ما يجهله الأطباء ..

ثم تمنى لى حظاً سعيداً ، وواعد بأن يفعل ما يراه

صواباً .. وتركنى وانصرف ..

يا للهول !.. لا أريد أن أكون وحيداً .. يحرقنى
الإحساس المرير بأن هذه مشكلتى أنا فقط .. أتعذب
وحدى .. أجن وحدى .. بينما يعود كل واحد إلى داره
مسروراً ، يحمد الله على أنه ليس أنا ... أريد آخرين
بأى ثمن ... !

* * *

أمام المراة عدت أتأمل وجهى ...
هو نفس الوجه الذى اعتدت أن أراه أربعين عاماً ..
ولكن ما سر التغيير الذى طرأ لخلاياها ؟ ..
ما سر هذا التبدل فى خواص ذاتى ؟ ..

* * *

عدت أطالع قصة (الرجل الخفى) تحفة (ولز)
الخالدة .. أعرف أننى لست خفياً .. لكنى كذلك بالنسبة
للعدسات .. يا لها من قصة ملهمة !..
فى هذه القصة تمكن ذلك الطبيب البارع من تبديل
معامل انكسار خلايا جسده ، لتصير مماثلة للهواء ..
بالتالى صار شفافاً مثله مثل قضيب الزجاج المغسور
فى الماء .. والحقيقة أن هذا الرجل الخفى - الذى كاد
يحكم العالم فى القصة - كان أعمى !.. نعم أعمى ..
لأنه لا يملك خلايا سوداء فى شبكية عينه ، ولقد ارتكب

(ولز) هذا الخطأ الجسيم فى غمار انبهاره بطرافة
المحتوى الأدبى للقصة ..
مشكلتى أنا تختلف ...
إن الكل يرونى .. لكن أفلام التصوير لا تستطيع ..
فلو كان معامل انكسارى قد تغير - مثل بطل (ولز) -
لصرت خفياً تماماً حتى ولو صرت أعمى .. ولما رأتى
أحد .

إن معامل انكسارى كما هو ..
وجودى هو الذى تغير ..
أنا وهم يحسب الآخرون أنهم يرونه ..
أنا شبح يخدع الجميع ولكنه لا يخدع الكاميرا ..
فإذا أضفنا إلى هذا كله ما طرأ من حساسيتى لضوء
الشمس ، نقلت : إننى أتحوّل إلى مسخ حقيقى .. شىء
قريب من مصاصى الدماء أو ما هو أسوأ ..
لماذا يحدث لى هذا أنا بالذات ؟ ..

* * *

بعد الظهر تلقيت مكالمة هاتفية من (صديقى)
الجديد ..
- هاللو ! .. (رفعت) ؟ .. أنا (كاميليا) ..
- ليس صعباً أن تعرفى أننى (رفعت) .. فلا أحد

سواى يعيش هنا .. وليس عسيرا أن أعرف أنك
(كاميليا) .. فأنا لا أتلقى مكالمات أنثوية بتاتا ..

- يسرنى أنك لا تحاول لعب دور (دون جوان) ..
- (دون جوان) ؟ .. بمظهرى وحالتى الصحية ؟ ..

أنا لا أملك مزاجا يسمح بالمزاح ..
- حسن .. ما هو برنامجك لهذه الليلة ؟

- لا برنامج ..

ضربت لى موعدا للقاء ، وكالعادة أغلقت السماعة
قبل أن أتصل أو أتصل أذرا ..

لم لا أذهب للموعد ؟ .. أريد أن أرى الشارع وأسمع
صوت الناس يتشاجرون ويصخبون .. سيكون الموعد
ليلا ولن تضايقتى أشعة الشمس بالتأكيد ...
وهكذا ...

تجدوننى جالسا معها فى كافتريا أخرى ، أرشفت
القهوة وأحكى لها عن الذى أصابنى اليوم ..
لم أعد بحاجة إلى الخيال كى أعرف مشاعر مصاص
الدماء ، الذى لا يخرج إلا مع تسدال الظلام ، ولا يعود
لداره إلا حين ينذر الفجر بالبروغ ..
قلت لها :

- قلت بالأمس : إننى أتحوّل إلى شبح .. ما هو فى
رأيك سبب هذا ؟

- ربما لأنك فقدت علة وجودك ..

اللغة على كل هذا الهراء ! .. لا أمقت شيئا قدر أن أجد
نفسى وسط متاهات لفظية لا تنتهى ... على الأقل أنا
وأتق من أننى لم أمت بعد .. وروحي تهيم .. تهيم !!
سألته فى قلق :

- سمعت أن المتوفين يظلون فترة لا بأس بها
يمارسون حياتهم العادية ، غير مصدقين أنهم ماتوا ،
وأن الآخرين لا يرونهم .

نفثت دخان لفافة تبغها فى وجهى وقالت :

- تعنى أنك كذلك ؟

- ربما ...

- هذا هراء .. لا تصدق أى حرف عن الموت مما
يقوله العامة .. ، مادام أحد لم يعد من هناك ليحكى
مارآه ، فكل هذه تكهفات .. ، كل ما أعرفه أنا هو أنك
تنبض بالحياة أمامى .. أراك .. وأسمع صوت لهائك .. ،
صدقتى فى أن هناك تفسيراً أكثر منطقية ..

- وما هو ؟

- لا أدرى .. لكننى سأعرفه فيما بعد ...

* * *

الأحد ٢١ يوليو :

كانت ليلة أسود من كل الليالي السوداء في حياتي محتشدة .. لم أعد بحاجة لرؤية الكوابيس في أثناء نومي ، لأن حياتي ذاتها صارت كابوساً متصلاً .. إلا أنني - فليحي التفاؤل - نهضت لأفتح النافذة ، آملاً في أن يكون ما حدث أمس وهنا أو حالة عارضة ! ..

أى يى ! .. إنه لعذاب لا يوصف ! .. فى هذه المرة شعرت إن جسدى كله يغوص فى فوهة بركان امتلأت بالحمم ..

ألقي بي الألم فوق الفراش .. ثم تحاملت على نفسى فتدثرت بالبطانية ، ونهضت لأغلق بوابة الجحيم هذه .. ترررررررررر ! ..

الهاتف من جديد .. إن تلقى ثلاث مكالمات فى أسبوع لشئ يفوق طاقتى على الاحتمال .. يوشك هذا البيت أن يتحول إلى (سنترال) مركزى . ذهبت لأرد وأنا أعالج بيدى اليسرى كل تلك القشور التى انتشرت فوق وجهى ، وعلى ساعدى الأيمن ..

صوت د . (رأفت) الوقور :

- (رفعت) ؟ .. أهذا أنت ؟

- لو كان سواى فالبيت مسكون .. و ...



نفت دخان لفاقة تبغها فى وجهى وقالت :

- تعنى أنك كذلك ؟ ..

- دعك من السخرية .. وقل لى .. بخصوص هذين
الطالبين المتزوجين اللذين تحدثت عنهما .. قلت لى فى
أية فرقة ؟

- الثالثة على ما أظن ..

- حسن .. (مدحت) لا يعرفهما .. لا أحد يعرفهما
فى الكلية بأسرها .. بل يؤكد الجميع أن شخصين بهذه
المواصفات لم يكونا فى رحلة القطار .. لا بد أن هناك
خطأ ما ...

ولكن .. خطأ .. مستحيل !

هل فقد الجميع عقولهم ؟

ربما أئننى قد جننت أو فى طريقى إلى ذلك ..
والدكتور (رأفت) لم يزل يتكلم

* * *

٦ - هو ..

الأحد ٢١ يوليو [بقية] :

لن أطيل وصف حالة انعدام الوزن التى شعرت بها ،
بعد هذه المكالمة اللعينة .. أتت تفهم ما أريد قوله دون
أن أتعب نفسى ..

لقد رأيت هذين الزوجين بعينى ..

سألت عنهما .. سألت كثيرين - و (مدحت) من بينهم -
فقال لى : إتهما زوجان حديثا الظهور فى الكلية ..
بل والتقطت لهما صورة ..

كيف ينكر الجميع الآن وجود هذين ؟ .. هناك
مؤامرة عامة لجعلنى أفقد عقلى ، أو ربما أنا فقدته
بالفعل .. !؟ ..

ولكن ... الصورة ! ..

هذا حق .. الصورة التى التقطتها عندى ، وفيها
يبدو وجهاهما كأوضح ما يكون ...

هذه الصورة دليل لا يدحض على صدق ما رآته
عيناي وسمعته أنأى ...

هرعت إلى الخزانة ، وشرعت أبحث فيها حتى

وجدت مجموعة الصور .. شرعت أفتش بلهفة حتى
وجدت الصورة ..

الحمد لله ! .. الآن أرى وجهيهما .. كنت سأنتحر
حتمًا - بعد أن أفقد عقلي - لو لم أجدهما فيها ، أو لم
أجد الصورة أساسًا ..

إذن أنا محاط بمجموعة من الكاذبين ..

إلا أن شيئًا من القلق ظل يخامرني .. ذلك النوع من
القلق الذي يدفع المرء دفعا إلى أن يخرج من شقته
(لحسن الحظ أن مدخل الشقة معتم خال من الضوء) ..
يتجه بخطى ثابتة إلى شقة جاره (عزت) .. يقرع
الجرس ..

ينفتح الباب عن وجه (عزت) الكليب الشبيه
بمرضى الفشل الكلوي المتقدم .. ، مازال هو هو فيما
عدا خصلة صغيرة من الشعر نابثة في أسفل ذقنه ..
يحاول بها أن ييدو عبقريًا شاذًا ..

كان بعد نائمًا كما هو واضح ، وأدركت أنه مازال
وطواطًا آدميًا .. بومة بشرية تصحو ليلاً وتغفو نهارًا .
- (رفعت) .. ألا تنام أبدًا ؟

- وأنت لا تصحو أبدًا .. أريد أن أسألك عن شيء ..
ودسست الصورة تحت أنفه .. وقلت :

- صف لي ما تراه هنا ...

قرب الصورة من عينيه .. وتثأب .. ثم غمغم :
- أرى كتفا .. ثم .. ها آ آ آه ! .. ثم حديقة .. هل هذه
الصورة ملتقطه في الإسكندرية ؟ ربما (أنطونيادس) ؟ ..
ولكن .. لا .. على كل حال ما أهمية الكتف الذي
يوقظني فجراً بهذا الشكل ؟

تساءلت في إلحاح :

- فقط ترى كتفا ؟ .. أين الفتى والفتاة في هذه
الصورة ؟

أعاد التأمل ثم غمغم :

- هل هي أحجية ؟ .. لا يوجد فتى وفتاة هنا .. !
انتزعت منه الصورة دون كلمة أخرى .. واستكرت
عائداً إلى شقتي .. متجاهلاً صوته الذي وصل لمسمعي
يردد :

- هذا الرجل ليس على ما يُرام ..

نعم .. أنا هو هذا الرجل ..

فما إن أغلقت الباب على نفسي ، حتى رحلت أردد
أنتي لا ينبغي أن أجن .. لا يجب أن أفقد صوابي ..

أولاً : اختفيت أنا تمامًا من الصور بشهادة الجميع .
ثانيًا : اختفى الزوجان تمامًا عن الجميع عيادي ،
ولا يزعم أحد أنه رآهما أساسًا ..

* * *

رب قبح عند (زيد)

هو حسن عند (بكر)

فهما ضدان فيه ..

وهو وهم عند (عمرو)

فمن الصادق فيما يدعيه ؟ .. ليست شعري ..

ولماذا ليس للحسن قياس ؟ ..

... لست أدري ...

(إيليا أبو ماضي - الطلاس)

* * *

صدقت يا صاحب (الطلاس) ..

أنا أفهم الآن هذه الحيرة المتقاعة .. عدم الفهم لما

هو صواب وما هو خطأ .. هل أنا أهذى أم الآخرون

يهذون ؟ لعلمهم يكذبون .. ولكن ما مصلحتهم في

الكذب ؟ ولماذا يجمعون عليه ؟ .. لا داعي لإضاعة

وقتي في سؤال آخرين عن هذه الصورة .. فأتا أدرك

في أعماق أعماقي أنهم سيقولون الشيء ذاته : لا نرى

أحدا في الصورة ..

ولكن لماذا أرهق نفسي بحثاً عن تفسير ؟ ..

ما الضرر - حقاً - من أن أرى الزوجين أو لا أراهما ؟

وما الضرر في ألا تظهر صورتى على الأفلام ؟ ..

الضرر واضح .. إذ كيف أعيش بقية حياتي - إن

كان لها بقية - عاجزاً عن رؤية النهار !؟ ..

* * *

الاثنين ٢٢ يوليو :

اليوم زارنى (مدحت) حاملاً غلبة من ...

الشيكولاتة ! ..

يا لك من أحمق يا (مدحت) ! .. أنا لست مريضاً

حتى تعاملنى بهذا الأسلوب المعقد ... لكنه قال لى فى

مودة :

- نفتقدك كثيراً يا د . (رفعت) .. إن عدداً من الطلبة

كان يبعث زيارتك ، لكنى عرضت عليهم أن أقوم بذلك

وحدى ، حاملاً تحياتهم وغلبة من الشيكولاتة .. أعرف

مدى كراهيتك للزحام ..

- وكيف عرفت عنوانى ؟

- د . (رأفت) .. هو من أبلغنا بمرضك ..

ثم ابتسم فى نكاء ، وقال :

- ألم أتدرك ؟ .. لا بد أنه مرض نادر يفقد المريض

قدرته على الظهور فى الصور !

- لا أعرف مرضاً مماثلاً سوى الموت .. !

وجلبت له بعض المياه الغازية .. ثم جلست أرمقه

وهو بجرعها محاولاً أن أسبر غوره ..

- (مدحت) ..

- نعم يا د . (رفعت) ؟

- لماذا كذبت !؟

تقلص وجهه استبشاعاً للتهمة .. ونظر لى غير مصدق .. فقلت له ضاغظاً على مقاطع الكلام .

- أنت كذبت .. ، والآن لا يوجد هنا سواتا ولن

يسمك أحد .. أريد منك أن تفسر لى سر إنكارك رؤية

هذين الزوجين فى رحلة القناطر .. ، أنت رأيتهما ..

وأجبت على سؤالى عنهما .. وقلت : إنك تعرفهما منذ

فترة .. فكيف تقول الآن : أن هذا لم يكن ؟

بدت الحيرة على ملامحه ، ووضع الكأس جانباً

ليقول :

- أنا لا أفهم يا د . (رفعت) .. لو كان شىء من

هذا قد حدث فأنا لا أنكره .. لا أعرف طالبين متزوجين

فى هذه السن المبكرة ، كما لا أنكر أننا تبادلنا كلمات

كثيرة فى أثناء الرحلة ..

- مرة أخرى تكذب !

بدا عليه الارتباك ، فهو لا يعرف ما يقول .. وبعد

هنيهة غمغم :

- لا أدرى لماذا تهتم يا سيدى بهذين .. إن المشكلة

الحالية بالنسبة لك هى مشكلة (التلاشى الفوتوغرافى) ..
وكنت ...

- أنا من يحدد مشكلته لا أنت !

- أعنى أننى لم أعر هذا الموضوع اهتماماً .. و ...

نهضت فى عصبية ، فرفعت الصينية التى كانت

أمامه بما عليها من بقية زجاجة المياه الغازية ..

واتجهت للمطبخ ..

قال فى ارتباك :

- لكنى لم أفرغ بعد من ...

صحت وأنا أعود ، وأجذبه من ذراعه لينهض :

- لا أراك مستحقاً لشربها .. والآن دعنا نتفق على

أنك شخص غير مرغوب فيه هنا ، ولنن استطعت

الإمساك بكذبك فلسوف أتسكك نسفاً !..

وبحركة مسرحية أشرت للباب :

- اخرج ! .. اخرج !

كاد الانفعال يدفعنى إلى أن أقول له : اخرج يا عدو

الله ! ، كما كانوا يفعلون فى مسرحيات (يوسف وهبى)

القديمة ، لكننى تمالكت نفسى .. فاككتيت بالمقطع الأول .

- ولا تنس هذه !

ووضعت علبه الشيكولاتة تحت إبطه ، وقدمته إلى

الباب .. بينما هو يردد عبارات مختلطة بلا معنى ربما هي اعتذار .. أو محاولة لفهم الموقف .. المهم أنه خرج خروجاً مهيناً .. للأسف لم أجرؤ على ركله فإن هذا كان سيريحني كثيراً ...

إن الذى يكذب عليك فى وجهك عالماً أنك تعرف كذبه ، لهو إنسان فذّ .. إنسان جدير بحطب جهنم ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :

فى ساعة مبكرة من النهار اتصلت بى د . (كاميليا) تسألنى عن حالى ، نسيت أن أقول هنا إنها تعانى من الفراغ مثلئى لأنها تعيش وحدها .. والداها متوفيان .. وأخواتها متزوجات .. وأنا واثق بأنها هشة تماماً تحت قناعها المتسلط الواثق من نفسه .. وأنها بحاجة لإنسان .. أى إنسان ..

- لم تذهبي للعمل اليوم إنن ؟!

- اليوم إجازة .. عيد الثورة .. أم لعلك نسيت ؟

- لقد فقدت اتزانى حقاً .. لم أعد أذكر من أنا ..

ضحكت تلك الضحكة العالية الرنانة المميزة لهاته النسوة الهستيريات .. وقالت :

- ما هى أخبار التحول الشبهي ؟!

ولفظت كلمة (تحول) باللاتينية (ميتامورفوزس) كعادتها ، وأنا أجد هذا الأسلوب استعراض ثقافة لا أكثر .. ما هو عيب لفظة (تحول) وما الصعوبة فى نطقها ؟! .. قلت لها ..

- المزيد من تساقط الجلد .. وأنباء محيرة للغاية ..

- عن هذين الطالبين ؟

- وكيف عرفت ؟

- ربما منك ..

ودار الحديث لفترة لا بأس بها .. لا أنكر حقاً عم تحدثنا ، لكنها كانت تسلية معقولة ..

بعد انتهاء المكالمة ، دق جرس الهاتف ثانية .. لم يعد هذا البيت (سنترالاً) مركزياً .. بل هو أقرب إلى مركز إسعاف .. فلنر من هذا المتطفل :

- صباح الخير يا (رفعت) .. هذا أنا .. (رأفت) .

- أخيراً ؟. حسبتم أخذوا الهاتف من دارك ..

- ما هذا الذى فعلته مع (مدحت) ؟ .. لقد حكى

القصة فى كل مكان ، والكلية كلها تتساعل عن حالتك العقلية .. يقولون : إن لعلك بالخوارق قد بدأ يؤثر فى مخك ..

- لقد استحق هذا .



رأيت شابًا أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك الطراز الذى

يسمونه (ألبينو) ..

تنهد فى صبر .. وقال :

- لم يحدث فى التاريخ أن طرد أستاذ تلميذه الذى جاء
يحمل له أمنيات زملائه بالشفاء .. حتى لو كان هذا
الأستاذ هو د. (فراتكنشتاين) نفسه ..

لم أرد .. فقال وهو يحاول أن يهدئ من لهجته :
- على كل .. حاولت أن أحسن الوضع بقولى : إن
مرضك قد جعلك عصبياً ..
- لا بأس .. إنها لحقيقة ..

وفى هذه الثانية دق جرس الباب ، فاعتذرت من
(رأفت) طالباً أن يمهلنى ريثما أرى من هناك ...
وأزحت الرتاج ونظرت إلى خارج الباب المفتوح ..
رأيت شاباً أبيض الشعر ، أحمر الجلد من ذلك
الطراز الذى يسمونه (ألبينو) .. أو عدو الشمس ...
وفى اللحظة التالية أدركت أنه هو ..
هو ...

الذى بدأت به هذه المأساة ... !

* * *

١٨ (أشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

ربما أنا أول مواطن من (أرض الأطياف) يجلس
ليكتب مذكراته .. وهى لعمرى عادة غريبة يمارسها
(الماديون) أحيانا كأن حياتهم ملحمة تستحق التدوين ..
متى جئت إلى هذا العالم ؟ .. لا بد أن هذا حدث من
زمن سحيق إلى حد أننى نسيت كل شيء عنه ..
إن تاريخ شعبنا لقديم للغاية .. ربما منذ اللحظات
الأولى لوجود هذا الكون نفسه .. ونحن الآن - فى
عام الوميض ٣٢١٥٦٩ - مازلنا لا نعرف الكثير عن
نشأتنا ...

كل ما نعرفه أننا كنا هنا دائما ...

نحن نعيش مع (الماديين) ، جوارهم .. أمامهم ..
خلفهم .. فى كل مكان يذهبون إليه .. لكنهم لا يروننا ..
ربما لأن هناك عينا شنيعا فى عيونهم ، أو فى قدرتهم
على التخيل ..

أعرف أنهم يؤمنون بوجود الجان ، ولكن أحدهم
- مهما بلغ من قوة تخيل - لعاجز عن تخيل وجود
كائنات أخرى غير مادية فى كل موضع ...

هذا الجزء غير مكتوب على ورق ، ولم يُستخدم
الحبر فى كتابته .. بل هو نوع من الرؤى ، أو
الإبحاءات التى هى إلى الهواجس أقرب ..

إننا نحيا في ديارهم .. لماذا نبني بيوتنا خاصة بنا
مادام هناك من فعل ذلك لنا ؟ ..

لكم سيدهشون ! .. هذا الأعزب الذى يعيش وحيداً
كذئب متفرد ماذا سيقول .. وماذا سيفعل .. لو تصور
لحظة واحدة أن هناك أسرة من عشرة أفراد تشاركه
السكن تحت سقف داره !؟ ..

حتى مواسلاتهم نركبها ، ولو أن الموصلات لا تمثل
مشكلة بالنسبة لشعب الأطياف .. لأننا نوجد حيث نريد
متى نريد ..

لا مشكلة هنالك بالنسبة لشعب ينتقل عبر الأثير ،
مخالفاً كل القواعد الطبيعية وقوانين المادة .. لقد
اقترب بعض (الماديين) من الحقيقة .. منهم
(أينشتاين) الذى قال : إن الكتلة تتلاشى إذا وصلت
لسرعة الضوء ، و (ستيف هوكنز) العالم القعيد الذى
تحدث عن الثقوب السوداء .. كلاهما اقترب من الحقيقة ..
لكنه لم يلمسها حقاً ..

ومن الواضح طبعاً أن أحداً من (الماديين) لم يفهم
عم تحدث هذان العالمان المنهمان ، وماذا أرادا قوله
بالضبط .

نحن نعيش حول (الماديين) فى كل مكان تقريباً ..

تعدادنا يفوق البلايين .. نعرف ونلاحظ كل شيء دون
أن يتخيل أحد مجرد وجودنا ..

قد يبدو هذا إلى حد ما شبيهاً بما يقوله البشر عن
(القرين) .. لكن الموضوع يختلف تماماً ، ولعمري
هذا هو دين (الماديين) الدائم .. إنهم يضعون السحر
والأشباح والجان والشياطين والأرواح والتجسيدات ..
كلها فى سلة واحدة .. ويخافونها كثيراً !! .. بينما
نحن نختلف بشدة عن هؤلاء .. وأبسط اختلاف هنا هو
أن أحداً لم يسمع عنا قط ...

* * *

١٩ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ :

اسمى هو (آشتا) .. أبى يدعى (آشتا) وأمى
تدعى (آشتا) .. (آشتا) هو الاسم الذى يطلق على
كل شيء وكل فرد فى عالمنا .. (آشتا) هو اسم
الشهور كلها .. و (آشتا) هو اسم فصول السنة كلها ..
و (آشتا) هو اسم حاكمنا .. ورئيس وزرائنا .. وكل
سفرائنا ..

تسألنى - بعقلك المادى المتحجر - عن الفوارق بين
كينونة وأخرى فى عالمنا .. أقول لك : إننا نعرف ما نتكلم
عنه .. لأن الكلام ليس من عيوبنا .. إن وجودنا هو
وجود الأفكار ذاتها .. (التخاطر) - كما تسمونه - هو

لغتنا الوحيدة .. وحين أفكر فى حبيبتي (آستا) ،
يكون الجميع على علم بمن أعنيه بـ (آستا) .. لأن
الجميع يرون صورتها فى أذهانهم .. والآن دعنى أقص
عليك تفاصيل يوم فى حياة رجل من (أرض الأطياف) .
أعيش هذه الأيام فى دار مستشار متقاعد .. عجوز
لطيف المعشر رقيق الحاشية .. يقضى سنوات ما بعد
المعاش فى مشاهدة التلفزيون بعد ما تزوج أطفاله ،
ونسوا أمره تماما .. وتوفيت زوجته .. وهو الآن
ينتظر النهاية فى صبر ...

لكن هذا الرجل الذى لا يخشى الموت ، سيموت هلعاً
لو عرف أن هناك من يشاركه المسكن .. بل والفراش
ليلاً .. ! ..

نعم .. أين تتوقع منى أن أنام مادام بالبيت فراش
واحد ؟! .. صحيح أن الرجل يغط فى نومه كضفدع ..
وصحيح أنه يدخن كثيراً ، لكنى أتحمّل كل هذا ...
أصحو فى الصباح لأقرأ الصحف معه - من فوق
كثفه - وأنا سعيد لبطء قراءته ..

ثم يجلس إلى مائدة الإفطار ، فأجلس معه ..
وهنا الفارق الهائل بين (الماديين) والأطياف ..
(الماديون) يلتهمون الفول والطعمية والجبن ، بينما

نحن الأطياف نلتهم الأفكار المنسية والذكريات .. هذا
الركام الذى ينساه (الماديون) فى أركان عقولهم هو
طعامنا ..

لهذا نحن مولعون بالأشخاص ضعاف الذاكرة ، فهم
يقدمون لنا طعاماً روحياً لا ينفد .. أحياناً تكون الأفكار
فاسدة أو مسمومة من ثم نصاب بنزلة معوية حادة ..
(كدت ألقى حتفى ذات مرة حين أكلت أفكار أحد
الصحفيين المشاهير !) ..

وحين ينهض مضيفى من المائدة .. أكون قد امتلأت
حتى التخمّة .. ويكون هو قد نسى شيئاً جديداً ...
ويفكر الرجل فى الخروج لرؤية الشمس بالخارج ..
هنا أكف عن ملاحظته ..

فالشمس هى عدونا الأزلّى ، وهى قدس الأقداس
بالنسبة لنا .. لقد خاف المصريون القدماء التمساح ..
وربما لهذا عبوده وجعلوه ينتظر الخطاة ليلتهمهم فى
العالم الآخر ..

يبدو أن شعب الأطياف فعل ذات الشيء .. كنا نخاف
الشمس لأنها تبددنا وتحرقتنا .. من ثم حرمانها على
أنفسنا .. لكننا بجلناها واحترمانها .. ، وفى عقيدتنا أن
من يتكلم عن الشمس يُنقى إلى عالم الضوء (سو)
إلى أبد الأبدى ..

لهذا يعيش شعب الأطياف حياته كلها فى الغرف
المغلقة المظلمة .. أو فى ضوء (النيون) المعقّم
البارد ...

لكننى كنت أشعر بعدم الراحة ..

كنت بحاجة إلى أن أعرف أكثر ...

يقول (الماديون) فى أساطيرهم : إن (برومثيوس)
البطل الإغريقى كان متشوقاً إلى معرفة سر النار ..
النار المقدسة التى تشتعل فى جبال (الأوليمب) ..
لهذا سرق قُبناً منها ، وعلم البشر جميعاً كيف
يصنعون النار .. (والنار هنا طبعاً هى رمز للمعرفة) ..
من ثم انتقم منه سادة (الأوليمب) بأن أرسلوا إليه
(بندورا) .. المرأة الفاتنة .. المرأة الفضولية التى
جلبت الوبال على الجميع ..

أعرف هذه الأسطورة لأننى قرأتها فى كتاب نسيه
مضيفى مفتوحاً على مكتبه ..

كنت أنا - مثل (برومثيوس) - ظامناً إلى المعرفة ..
ظامناً إلى سر النار المقدسة : الشمس ...

وكانت لدى (بندورا) أنا الآخر .. هى (آشتا) ...
هل أصفها لك ؟ .. تريد ذلك ؟ .. هانتذا تنسى
يا صديقى أننا غير ماديين .. وأنه من المستحيل أن أقول

لك : إن شعرها كان لونه كذا .. وعينيها كان لونهما
كذا .. و ... و ...

كانت طيفاً .. طيفاً رقيقاً .. أفكارها رطبية منعشة
كالنعناع (هل يقرب هذا الصورة من ذهنك ؟ .. كل
(الماديين) يحبون النعناع) .. وكانت لى وحدى .. لى
منذ الأزل ..

كل شيء كان يؤكد أنسى و (آشتا) سنمتزج
الامتزاج المقدس النهائى ، الذى تنبعث منه أضواء
وليدة تغدو أطيفاً أخرى .. الكل كان يبارك امتزاجنا ..
(آشتا) و (آشتا) و (آشتا) و (آشتا) و (آشتا) ..
حتى (آشتا) وافق بعد تردد على امتزاجنا ..
الليلة ألقاها فى حديقة الحيوان .. وأبثها عواطفى .

* * *

الظلام يسود حديقة الحيوان .. إنه منتصف الليل ..
زئير النمر يتعالى فى أفاصها .. هذا طبيعى ..
فالحيوانات ترانا بوضوح تام .. إن القطط تموء حين
ترانا وتتنظر لأعلى .. والكلام تتوتر وتصدر زئيراً
مكتوماً ..

لا أحد من البشر هنا ... وحببتي (آشتا) قادمة
تتساب فوق الأعشاب .. نحوى .. أشعر سروراً فى
روحها .. وألقاها بمثله :

- !

- !

آه ! .. معذرة ! .. نسيت أنني أحدث الأميين الذين
لا يجيدون قراءة الأفكار .. ليكن .. سأحاول أن أترجم
الحوار لكم :

- حبيبي (أشتا) ! ..

- حبيبتى (أشتا) ! ..

- متى يكون الامتزاز النهائي ؟ .. إلى متى نعيش
في دارين متباعدين ؟

- حينما يقرز (أشتا) الأكبر ذلك ..

تقول وهي تفكر في أشياء مبهجة للغاية :

- سلمت الحياة مع هذه (المادية) الكريهة التي
أقطن دارها .. إنها لا تكف عن قراءة مجلات الموضة ،
ووضع المساحيق على وجهها أمام المرأة .. لماذا
تعتقد أن جسدها يستحق كل هذه العناية لمجرد أنه
ذو كتلة مادية ؟! .. ثم هي تكذب .. وما إن تخلو
بنفسها حتى تتحول إلى شيطان ..

- آه يا ملاكى ! .. إن في حونتنا من أسرار البشر

ما يكفى - لو أعلن - لانتحارهم جميعًا ثلاث مرات ..

قالت وهي تفكر في الجمال المطلق :

٨١



لا أحد من البشر هنا ... وحبيبتى (أشتا) قادمة تنساب فوق

- ومن أدراك أن هذا سيحدث ؟ .. علمونا هذا منذ
الصغر .. ولكن أحدا لم يجرؤ على المحاولة ..
- لقد فقدت صوابك !
- أريد أن أفعل ما لم يفعله السابقون .. لأكون جديراً
بك وموضوعاً لفخرك الدائم ..
- لن أفخر بك وأنت تخالف قانوننا الأزلي ..
قلت لها وأنا أتأهب للرحيل .
- غداً في الصباح الباكر أخرج إلى الضوء .. لأرى
الشمس وأتعم بها .. فلئن هلكت فعزائي أنني هلكت وأنا
أعرف ..

وابتعدت عن مجال أفكارها ...

* * *

٢٠ (أشتا) عام ٢٠١٥٦٩

اليوم قد يكون آخر أيام حياتي ، وقد يكون أهمها ..
اليوم أعرف إلى الأبد ما تعنيه لفظة (شمس) ..
اليوم أتسلل عبر خصائص النافذة المغلقة إلى الخارج .
ومثلاً فعل (برومثيوس) .. أضحي بحياتي من
أجل المعرفة ..

(برومثيوس) قضى بقية حياته معلقاً بين جبلين
يلتهم الرخ كبده في كل يوم .. وفي الليل ينبت له كبد
جديد .. لتتكرر المأساة .. فماذا سيحدث لي أنا ... ؟

* * *

- حين نمتزج سنذهب لنعيش في فندق من ذوى
النجوم الخمسة .. لا بد أن هناك حجرة خالية من
الأطيارف .. في أحد الفنادق ..
- للأسف إن هذا العالم مزدهم بالجان والأرواح
والشياطين - إلى جانب البشر طبعاً - إلى درجة أنه
لا يوجد موطنٍ لقدم .. كيف لو عرفت (المادية) التي
تعيشين عندها أن غرفة نومها يغفو بها عشرة آلاف
مخلوق غير مرئي ؟ ! ..
- آه ! .. ستموت هلعاً بالطبع .. ولن يضايقنى هذا
كثيراً ..

قلت لها وأنا ألمس كيانها فينبعث ذلك الضوء
الأخضر الغامض الذى حير العلماء .. فتارة سمّوه
(ضوء سانت إلموس) فى المناطق القطبية .. وتارة
حسبوه ضوء حشرات مضيفة ، ولم يعرفوا أنه ضوء
الحب .. قلت لها :

- إننى أعترم القيام بمشروع غير عادى ..

- وما هو ؟

- أريد أن أعرف المزيد عن الشمس ! .. أن أراها !
- هل جننت يا (أشتا) ؟ .. كيف تجرؤ على لفظ
كلمة شم .. أعنى قدس الأقداس !

- لا يمكن أن أعيش حياتي دون أن أفهم ما هى ..

- ستحرقك بنيرانها .. ستتلاشى ..

٢٠ (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ [بقية] .

(سو) ! .. (سو) ! ..

الضوء الساطع الذى جعلونا نخافه ونحتقره .. (سو) !
القرص الذهبى المشتعل يسكب حناته ودفأه فوق
الأرض التلكى ..

لم أحترق .. لم أتلاش .. فقط عرفت السر .. فهمت
حقيقة هذا الكون .. الإحكام المطلق فى كل شيء .. الخالق
الأعظم سخر هذا القرص ؛ كى يهب الأرض الحياة ..
إن هذا ...

وفى لحظة تالية تلاشى كل شيء ..

وجدت نفسى أقف فى قاعة شاسعة ملأى بالبشر
الذين يتناقشون فى قضية ما .. ، ووجدت حولى
عشرات الأطياف تحيطنى .. وفى ذهنهم سمعت لفظة
واحدة : العقاب ! ..

وعرفت أين أنا .. أنا فى قاعة بمبنى الأمم المتحدة
يتخذها شعب الأطياف للمحاكمات الكبرى ..

وكان البشر غارقين فى جدل شديد حول حرب
(فيتنام) وإلزام الحكومة الأمريكية بالانسحاب .. فى
نفس وقت محاكمتى ..

أما نحن الأطياف فكان حوارنا الفكرى مختصراً :

- أنت يا (آشتا) خرقت قانون الأطياف .. وتحدثت

مع (آشتا) عن الشمس .. بل وحاولت رؤيتها .. !

- كنت أريد أن أعرف .. وعرفت .. وهأنذا لم يصبنى

ضرر ..

- لقد هكمت قدس الأقداس عندنا ..

وهنا صباح أحد البشر فى هستيريا .

- إن حكومة (سايجون) تحاول تبرير إمبريالياتها !

- أنت يا (آشتا) قد خرقت القانون عمداً .. وجريمتك

لا يمكن الدفاع عنها أو تفنيدها ..

البشرى مازال يصيح فى البشر الجالسين حوله :

- نعم .. جريمة لا يمكن تفنيدها .. !

- لهذا يا (آشتا) .. عقوبتك هى النفى مع (آشتا)

التي شاركتك التآمر .. النفى إلى عالم الضوء (سو)

بلا رجعة ..

- هذه الصور تثبت تورط السوفييت فى مهاجمة القوات

الأمريكية !

- ستكتسب أنت و (آشتا) مظهراً مادياً هشاً ..

وتعودان إلى العالم المادى لتعيشا هناك .. أنتما لن

تعودا طيفين .. ستفقدان (لاماديتكما) إلى الأبد ...



الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شاباً وفتاة على قدر لا بأس به من

الوسامة ..

- الرحمة يا (آشتا) الأكبر ! .. ليس هذا !
ولكن (آشتا) الأكبر كان صارماً ...
ولمحت (آشتا) العزيزة .. أفكارها ملأى بالهلع
والتوسل .. كانت تتألم .. وعرفنا أننا سنصير بشراً ..
وأن أحداً لن يرحمنا ...

* * *

الأحد ٥ يونيو :

تم التجسد في إحدى الحدائق العامة .. وكان الوقت
ليلاً ..

الجسدان اللذان اختيرا لنا يمثلان شاباً وفتاة على
قدر لا بأس به من الوسامة .. لكن - للأسف - حدث
خلط في أصباغ الفتى ، من ثم جاء شاحب البشرة ..
من النوع الذي يسميه (الماديون) عدو الشمس .. أما
(آشتا) فكان تجسدها موقفاً ..

ووقفنا نرمق جسدنا في حيرة .. للمرة الأولى أرى
(آشتا) الفكرة المجردة ، وقد صارت فتاة جميلة ..
كيف عرفت أنها جميلة ؟ .. لا أدرى .. يبدو أنني فقدت
(لاماديتي) للأبد حقاً ...

كانت تبكي وتولول .. لم لا ؟ ..

لقد كانت الأحداث عاصفة .. منذ ثمانية كنا في اليوم

العشرين من (آشتا) عام ٣٢١٥٦٩ .. واليوم نحن
في اليوم الخامس من يونيو عام لا أدرى كم بالضبط ..
أنا من جلب لها هذا الوبال ... البائسة ! ..
على أننا كنا بحال طيبة .. المشكلة الوحيدة هي أننا
نعرف حدود هذين الجسدين اللذين يغلفاتنا ..
أولا : لا تترك هذه الأجساد قلا ..

ثانياً : لا تظهر هذه الأجساد في الصور الفوتوغرافية
[حاليًا يحاول العالم العظيم (آشتا) أن يحل هذه
المشكلة بتطوير نوع الأنسجة التي تحيط بالطيف ..
لكن أهدنا لن يستفيد من هذا الاختراع !] ..
ثالثاً : لا تحتل هذه الأجساد الشمس بصورة مطلقة ..
إن الشمس الساطعة تجعل جلدنا يحترق .

رابعاً : تحتاج هذه الأجساد إلى طعام ، ولا يمكنها
التنقل بحرية كما كان متاحاً لها ..
خامساً : يمكن جعل هذه الأجساد غير مرئية لبرهة
محددة .. وهذا يفيد في وقت النوم أو الراحة ، فلن
نكون بحاجة إلى مسكن .. إن أي مكان يناسبنا ..
* * *

الثلاثاء ٧ يونيو :

- نحن في القاهرة .. المكان الذي كنا نعيش به ونحن
طيغان .. لكن من أين نبدأ الحياة إنن ؟ ...

نحن نعرف الكثير عن البشر .. فنحن نراقبهم طيلة
حياتنا .. إن سننا ومظهرنا لا يصلحان إلا للتصنيف
تحت قائمة واحدة : طلبة الجامعة .. لهذا .. ولنتمكن
من ممارسة حياة طبيعية في هذا العالم المروع ، لابد
أن نلتحق بجامعة ما .. ونزعم أننا زوجان .. هذه هي
الطريقة الوحيدة كى نبرر عزلتنا الدائمة .. كون
(آشتا) متزوجة سيحميها من ملاحظات كل الأوغاد
الذين يظنون أنهم ذوو فتنة .. وكوني متزوجاً سيفسر
عدم رغبتى في مصادقة أحد ...
وهكذا ...

قمت بتزييف أوراق تقول : إننا طالبان في كلية طب
(...) ، إن كل شيء هين بالنسبة لمن يستطيع أن
يكون غير مرئى ..

وبدأنا نحاول الاندماج في الحياة الجامعية ..

حاولنا أن نقتع أنفسنا بأننا سعدان بكوننا (ماديين) .

ولكن يا لفضول هؤلاء القوم .. !

في كل مكان تذهب إليه ، تجد عشرات العيون
الفضولية ترمقك في غير ود .. فأكاد أصرخ : ماذا
تريدون منا أيها الأوغاد !؟

تدخل إلى مكان ما فيرمقونك في ذهول ، ولسان حالهم يقول :

تبًا ! .. إنه يدخل ! ..

ثم تجلس فترى العيون تكاد تثب من محارها ، لسان حالهم يقول : باللهول ! .. إنه يجلس أيضا ! ..
أية جرأة !

أما تناولك لمشروب غازي فإنه يجعلهم يموتون من الذهول ، وهم لا يصدقون أنك قد بلغت هذا المدى البعيد !

لماذا لا تتركوننا وشأننا أيها الحمقى !؟ ..

* * *

الخميس ٩ يونيو :

الفضول يغمر الجميع في الكلية بشأننا .. أحد الطلبة المولعين بالتدخل فيما لا يعينهم جاءنا يعرض خدماته ، لكنه في الواقع يحاول معرفة (كنهنا) بالضبط ..
عرفت أن اسمه (مدحت) ...

قال لنا : إن هناك رحلة تقوم بها الكلية إلى القطاير الخيرية يوم السبت القادم ، وأصر على أن نشترك معهم ، لأننا - كما قال - نبدو أميل إلى الانطوائية ، والانطوائية - كما قال - هي فطر سام يذبل في النور والهواء ...
سألت (آشتا) بالتخاطر الذي لم نلقه بعد :

- ما رأيك ؟

- لم لا ؟ .. يجب أن نندمج في هذا العالم بأى ثمن .. نحن لم نعد من شعب الأطياف .. لابد لنا من مكان ما .
ووافقنا على الرحلة .. كنا نستشعر الوحدة .. فقد حرمنا من رؤية الأطياف الأخرى للأبد برغم أننا نعرف أنهم يروننا .. ويحيطون بنا طيلة الوقت ..
ترى ماذا يقولون عنا الآن .. ؟

* * *

السبت ١١ يوليو :

كأنت تجربة مريرة ، الجلوس في حافلة يملؤها الصخب ، وضجيج البلهاء .. وعرفت و (آشتا) أننا لن نتأقلم مع هذا العالم أبداً .. إلا أننا شعرنا بارتياح لمشرف الرحلة .. وهو أستاذ جامعي يدعى (رفعت إسماعيل) .. رجل نحيل كالأقاعي .. كئيب متعكر المزاج كخرتيت .. يدخل بإفراط كبركان ...
كان يجلس وحيدا يرمق كل هذا في اشمئزاز ..
وشعرنا أننا - على الأقل - وجدنا واحداً يشاركنا مشاعر الغربة ..

لكن ظننا خاب حين وصلنا إلى مقصدنا ..
فقد تكشف هذا الرجل عن فضولي غير عادي ،

لا يكف عن مطاردتنا بنظراته كلما ذهبنا هنا أو هناك ..
وازداد الأمر سوءاً حين أخرج كاميرا فوتوغرافية ،
وشرع يحوم حولنا كقط حذر ..

وأدركت مقصده على الفور .. إنه يحاول أن يلتقط
صورة لنا لغرض في نفسه ! .. يجب منعه بأى ثمن ..
وإلا سيفتضح أمرنا تماماً .. محاولات عديدة بذلها ..
ومحاولات عديدة فررنا بها . لكن فرارنا لم يزدنا إلا
إصراراً ..

وجاءت اللحظة العصية حين نجح فى اقتناص صورة
لنا ، من وراء كتف طالب كان يخفيه عنا .. يا للكارثة !
قالت (آشتا) فى هلع :

- انتهى الأمر لن نجدنا فى الصورة ، ولسوف
تتراكم علامات الاستفهام حولنا .. لم تعد حياتنا ممكنة
هنا .. فلترحل ..

- اصمتى يا (آشتا) .. إن هذا الرجل سيدفع ثمن
فضوله غالباً ..
وخطرت لى فكرة ..

إن جسدينا يتكونان - تحت الجلد - من طاقة .. طاقة
ذات إشعاع يمكنه أن يؤثر فى الفيلم .. إن صورتنا
ستتطبع على الفيلم .. لكن بشرياً لن يراها .. لن يراها
سوى كيان طيفى .. سوى كتلة من الطاقة ..

لو أن (رفعت) هذا بدأ يتحول إلى طيف ، فإنه
سيبصر صورتنا على الفيلم دون جهد .. وفى ذات الوقت
ستبدأ تغييرات غير مفهومة تصيبه .. ربما يجن .. ربما
يفقد صوابه .. لا يهم .. لقد كان هو البادئ بالعدوان ..
فلتبدأ انتقامنا .. الآن يا (آشتا) .

وفى رحلة العودة بالحافلة ظللت و (آشتا) نواصل
ما بدأناه .

تشابكت كفاتنا وشرعنا نوحّد طاقتنا كي نزعزع كتلة
خلايا هذا الرجل .. ببضع يتخلى عن ماديته ويفقد
مثلنا .. مجرد صورة لا أكثر .. لكنه لا يشعر بهذا ..

وعرفنا أنه حين يطبع الصور سيجد صورتنا واضحة
أشد ما يكون الوضوح ، لكن أحداً سواه لن يراها ..
لا بأس .. لن يدفعه هذا إلى الشك فينا .. بل سيشك فى
قواه هو العقلية ..

الاثنين ١٣ يونيو :

* * *

لم تنته المفاجآت الأليمة ...

اقتربت (آشتا) خطأ جسيماً فى إحدى المحاضرات
الختامية للعام ، حين سألت المحاضر عن معنى لفظة
(رة) الإنجليزية ..

وللحظة ظننا الرجل تمزح .. ثم أصابه الذهول ..
وراح يردد :

- طالبة في السنة الثالثة بكلية الطب .. ولا تعرف أن
(لالچ) معناها رنة ! .. إن هذا ليس جهلاً .. بل هو
يدخل في نطاق الجريمة .. من أين أتيت يا دكتورة ؟ ..
من المريخ ؟ .. هل أنت واثقة من أنك معنا هنا ؟
بدا لي الرجل موشكاً على الإصابة بنوبة قلبية ..
لكن المشاكل لم تنته ..

فبعد المحاضرة فوجئنا بالطلبة يحتشدون حولنا
ليمنعونا من مغادرة القاعة .. ورأيت المدعو (مدحت)
يتقدم منا وفي عينيه نظرة عداوة ، واضحة .. وسمعته
يهتف :

- هذا حق .. من أنتما ؟!

تعالى صوت طالب منهم :

- أمس سألته عن رأيه في مباراة (الأهلى
والترساة) .. كل مخلوق في مضر تابعها أو سمع
عنها .. أما هو فلم يعرف أصلاً أن هناك مباراة .. أكاد
أقسم إنه لم يسمع عن لفظة (أهلى) من قبل !
كان يتحدث عنى .. وتعالى صوت رفيع لطالبة تقول :
- أما هي .. فلا تعرف شيئاً على الإطلاق .. لم تفهم

معنى (ساتان) ولا (أورجاتزا) ولا (بيديكير) ..
حتى حين سألتها عن (الكوافير) الذى تتعامل معه
تساعلت في حيرة : هل تعنين حاكم الإقليم ؟!

قال (مدحت) وهو يكشر عن أنيابه :

- هذا هو السؤال .. من أنتما ؟ هل أنتما جاسوسان
إسرائيليان ؟

تعالى صوت آخر :

- ربما هما من المريخ كما قال د. (محمود) ؟

- أو طالبان مزيفان من هواة الطب ..

كان الموقف يزداد سوءاً .. من الواضح - كما تتبأت
(أشتا) - أنه لا وجود لنا ولا مكان في هذه الكلية ...

- (أشتا) .. يجب أن نرحل ..

- أنا معك .

تبادلنا هاتين العبارتين عبر مسيل أفكارنا ، الذى لم
يسمعه هؤلاء ..

- لكن يجب أن نمحو كل أثر لنا في عقولهم ..

- تعنى أن نلتهم كل هذا الكم من الأفكار ؟ .. سنصاب
بتخمة ..

- هذا هو الحل الوحيد ..

وشرعنا نستخدم موهبتنا الطيفية ..

شرعنا نبتلع كل الذكريات بخصوصنا من عقول حشد الطلبة المحيط بنا .. ، وحين انتهت مهمتنا كان كل واحد منهم يرمق الآخرين بنظرات زائغة .. وقد نسي كل شيء عن السبب الذي احتشدوا من أجله ..
واتهزنا الفرصة لنختفى عن عيونهم ، قبل أن يرونا .. فيتذكرون ..

* * *

الثلاثاء ١٤ يونيو :

قرّر قرارنا على الاستقرار في إحدى الجامعات الإقليمية ، وفي كلية أخرى غير الطب .. فنحن لم نكن يوماً ممن يجيدون الإنجليزية أو اللاتينية .. على أننا شعرنا أن هناك شيئاً يتحتم علينا عمله قبل أن نرحل ..
فمادام أمرنا قد افتضح ، وانهارت خططنا في هذا المكان ، فلم يعد هناك داع لكى نترك د . (رفعت إسماعيل) في طور اللامادية الذى يمرّ به .. لسوف يتعذب المسكين كثيراً .. خاصة حين يفقد تحمله للشمس (سو) ويحترق جلده .. ويغدو عدواً للشمس مثلنا ..

وهذا أمر متوقع خلال شهر أو أقل ...

إنّ علينا أن ننتزع منه ما منحناه إياه من طاقة ..

عرفنا عندئذ أن الرجل قد سافر إلى (الولايات المتحدة) .. وأنه سيبقى هناك شهراً أو أقل قليلاً ...
سيكون علينا أن ننتظره حتى يعود كي نحرره ...
* * *

الثلاثاء ٨ يوليو :

لقد عاد د . (رفعت إسماعيل) اليوم .. هذا حسن ..
لقد مرت رحلة (الولايات المتحدة) بسلام إذن ، ولم يلتقط له أحد صوراً .. المفترض منا الآن أن نحرره دون أن يشعر هو بذلك .. لابد من عدد من اللقاءات الدائبة معه تتيح لنا انتزاع طاقته .. ولكن كيف ؟ ...
وكانت (آشتا) تملك الجواب ...

الفتاة التى كانت (آشتا) تعيش معها عندما كنا في عالم الأطياف ، هى أستاذة فلسفة عانس تدعى (كاميليا) ..

وكانت (آشتا) قد درستها تماماً .. عرفت كيف تتكلم .. كيف تلبس .. كيف تضع (الماكياج) .. بل عرفت حتى طريقة تفكيرها وأسلوب حياتها ...
وخطرت لنا الفكرة المجنونة .. (آشتا) تتنكر لتبدو كالأستاذة .. (وهذا هين مع كل المساحيق التى تضعها هذه) وتذهب لتتعرف الدكتور (رفعت) ..

وعن طريق لقاءات متعددة تتمكن من استخلاص
طاقته .. ولكن متى وكيف ؟ .. هذا هو السؤال ...

* * *

الاثنين ١٤ يوليو :

الأمر تسير على ما يُرام ..

كنت قد قابلت بالصدفة - منذ أيام - رجلاً يُدعى
د. (محمد شاهين) يزور د. (كاميليا) في مكتبها ..
وعرفت بالصدفة أن هذا الرجل هو صديق قديم
لـ (رفعت إسماعيل) ...

هذا رائع ! .. سيكون هذا الرجل هو حلقة الوصل
التي أريدها ..

زرتة في مكتبه ، وقلت له : إنني صديق قديم وقريب
لـ (رفعت) .. وأن الجميع قلق ، لأن قطار الزواج
سيفوت هذا المخبول .. ثم قلت له : إنني أرشح
د. (كاميليا) لتكون مدام (إسماعيل) ..

تحمس الرجل للفكرة ، وأدركت أنه طيب القلب إلى
درجة البلاءة .. فطلبت منه أن يبقى الأمر سراً بيننا ،
على أن يفتح د. (رفعت) بالأمر كأنه عارض ..
ومن بنات أفكار د. (محمد) وحده ..

في نفس الوقت كانت د. (كاميليا) قد سافرت إلى

(الإسكندرية) في رحلة قصيرة ، وصارت دارها
الخواوية ملكاً لي و (آشتا) .. وهكذا صار لنا بيت
وفراش وثلاجة وحمام ..

وفي هذا البيت شرعت (آشتا) تستعد لكي تلعب
دور د. (كاميليا) حين يأتي (رفعت) ليراها غداً ..

كان الماكياج متقناً ، ومع المساحيق ، والجمّة
كستنائية اللون ، والمنظار الأنيق ، والتايور الرمادي
المميز لـ (كاميليا) ، صار الشبه تاماً .. خاصة
و (رفعت) لم يرها من قبل .. و (محمد شاهين)
لا يرى أبعد من مترين .. أما بالنسبة للباقيين في القسم ،
فمن قال : إن هذه هي د. (كاميليا) !؟ .. إنها دارسة
نهمة للفلسفة لا أكثر ...

* * *

الثلاثاء ١٥ يوليو :

تم اللقاء الأول ...

* * *

الجمعة ١٩ يوليو :

تم اللقاء الثاني في (كافتريا) .. وحاولت (آشتا)
أن تكون (كاميليا) تماماً في كل شيء .. لم يشك
(رفعت) في أمرها .. لكن المهمة كانت أعقد مما

تصورت .. يحتاج الأمر إلى كثير من التركيز لإنهاء
هذه اللعنة التي تطارد (رفعت) ..
المشكلة أنها لن تستطيع ممارسة هذا التركيز دون
أن تثير رييته ..

* * *

الثلاثاء ٢٣ يوليو :

لن تطول المهزلة أكثر من ذلك ..
عرفت أن (رفعت) ملأ الدنيا صراخاً ، وقد بدأ
الناس جميعاً يتحدثون عن خباله ، وتبدل طباعه ..
وأته طرد الطالب الذي زاره حاملاً هدية الطلبة من أجل
مرضه ..

يجب أن ننهي عذاب هذا البائس حالاً ، خاصة أنه
عذاب بدون جدوى ...

وفي الصباح توجهت إلى داره ...
وقرعت جرس الباب في تصميم ...

* * *



كان الماكياج متقناً ، ومع المساحيق ، والجملة كستانية اللون ،
والمنظار الأنيق ، والتابور الرمادي المميز لـ (كاميليا) ..

[عودة إلى مذكرات د . (رفعت)]

٧ - أضيف !

الثلاثاء ٢٣ يوليو [بقية] :

انتهى الفتى من سرد قصته ، وراح يرتقب الانفعالات التي سأتي بها ..

لكنني ظللت أرمقه في تراخ .. عاجزاً عن قول شيء .

قال لي وعلى شفتيه تتلاعب ابتسامة خافتة ..

- أن تلومني ؟ .. أن تقول لي كم أنت محقق ؟!

فتحت فمي .. وبصعوبة خرجت الكلمات :

- و د . (لوسيفر) ؟ .. لقد كانت قصته أقرب إلى

الصواب من كل شيء .. هل هذا الرجل ؟!

وصيبت .. لكن الفتى أدرك ما أردت قوله ..

قال في هدوء :

- إن د . (لوسيفر) - كما تسمونه - يعرف حقيقة

وجودنا ، وقادر على الاتصال بنا .. وأعتقد أن القصة

كلها وصلته بشكل ما ..

ثم أردف ، وهو ينظر في عيني :

- إن ما قاله لك (لوسيفر) لم يكن رجماً بالغيب ..

بل كان يتحدث عن حقائق يعرفها .. وبالمناسبة : نحن

نسميه (هو) ، وهناك من يسمونه (خريولسن) ..

- إن ما تقوله لغريب .. غريب حقاً .. حتى إنه

يتجاوز قدرتي على الحكم الأخلاقي على الأمور ..

لا أدري ما إذا كان كل هذا يدعو للحنق أم لا .. لكنني

غير قادر على الغضب ..

ضحك الفتى - الذي لا أعرف كيف أناديه - وقال :

- هل لديك أسئلة أخرى ؟

قلت وأنا أقذف بعض حبات النعناع إلى فمي :

- الواقع أن هناك احتمالاً لا بأس به في كونك تخدعني .

- وكيف لي أن أعرف كل شيء عن مشكلتك .. وعن

د . (كاميليا) .. وعن د . (لوسيفر) ؟ .. وعلى كل

حال .. الأمر هين ..

ومذ يده نحو مفتاح النور .. فأضاءه .. وعلى الفور

غمر الضوء الحجرة .. وسار بتؤدة ليلامس الجدار ..

قال وهو يجذبنى لأقف جواره :

- انظر إلى ظلي .. وظلك ..

نظرت إلى الجدار .. فوجدت ظلي الأصلح التحيل

ينظر مشدوهاً أمامه إلى ... إلى لا شيء ...

إن الفتى لا يترك أي ظل على الجدار .. !

- هل رأيت ؟ .. إن الضوء يمر عبر فتاعي المزيف

دون جهد .. ولهذا لا تنعكس صورتى على الأفلام ..
- ول .. لماذا أرى أنا ظلى مادمت مثلك ؟

رفع كفه فى كبرياء :

- لحظة من فضلك .. لست مثلى .. بل أنت فى الطريق
لذلك .. ولو أننى تركتك وشأتك لصحوت بعد شهر من
النوم لتجد أنك لا تترك ظلاً ..

ثم إنه قادننى عائداً بى إلى الأريكة .. وجلس وجلست ..
وقال وهو يخلع حذاءه ويتربع جالساً :

- والآن - وقد زالت الشكوك جميعاً - أرى أن تمنحنى
تفكيرك وكيانك كله ياد . (رفعت) .. سأعمل الآن
على شفائك من وصمة (التلثى الفوتوغرافى) هذه ...
- أكون شاكرًا لو أسرعت ...

أمسك بيدي وأغمض عينيه ..

* * *

أنا أخلق فوق المحيط بأجنحة من شمع مثل
(إيكاروس) .. الشمس .. لا أريدها ! .. إنها ستذيب
أجنتى .. إنها ستجعلنى أهوى من عل ...

(إيكاروس) مات لأنه دنا كثيرًا من الشمس .. من
الحقيقة .. وأنا مثله أقترب .. وأقترب . دون أن
أستطيع المقاومة ..

أطياف فى كل مكان .. أطياف تتأملنى وتضحك ..
برغم هذا أنا عاجز عن رؤية ملامحها ..

زجاجة العصير انسكبت .. لكن النمر لم يلحق
بالغزلان .. ، (أشتا) .. (أشتا) .. تناديك من الثقب
الأسود .. القزم الأخضر لن يلبث طويلًا حتى يتحول إلى
ثقب .. ثقب أسود كبير .. لماذا لم يجروا لى جراحة
اللوزتين ؟ .. ربما لأن (قابيل) قتل أخاه .. لو لم ير
الغراب لما عرف كيف يوارى سوءة أخيه ..

السماء تتحول إلى خنجر عملاق يهوى فوق صدرى ..
وأنا ممدد على الكلا مقيدًا بلا حيلة ..

سيخرج هذا الخنجر كل الذماء الفاسدة .. كل الأوهام ..
ربما يستأصل لى اللوزتين أيضًا .. (بو) كان يعرف
كيف يفزعنى .. والآن مات (بو) .. فمن سيفزعنى
بعد هذا ؟ ..

و (كاميليا) لها صوت رجل .. ترى هل هى تملك
أحلامًا أنثوية ؟ .. هل تحب الزهور والربيع ؟ .. السير
(ماكيلوب) يرفع البوق إلى شفتيه .. وعما قريب
يخرج وحش (لوخ نس) من البحيرة ..

لا ! ! ليس (ماجى) ! ! ..!
لنيمتص دمائى .. إن (براكسا) تريد جسدى لتعيش
فيه .. الاستحواذ .. (أينشتاين) كان عبقرًا .. و ...

هوذا الثقب الأسود .. ليس ثقبًا وليس أسود .. إنه
مجرد باب يقود إلى بعد آخر .. وعلى جانبه يقف (أشتا)
ملوحًا بذراعه اليمنى لى .. لا أرى ملامحه .. فقط ظله .

والآن .. لا تضعف يا د . (رفعت) .. لقد تركت في
عقلك الباطن نسخة من مذكراتي .. وحين تصحو ستجد
الأحداث هناك .. لكن لا تضعف .. أريد أن تقسم أن
هذا سر بيننا ...

- أ .. أقسم أن ...

- هيا يا د . (رفعت) .. إتنى أنتظر ..

- أ .. أقسم أن أحفظ السر .. !

- حسن يا د . (رفعت) .. أعرف أنه بإمكانى أن
أثق بك .. والآن يمكنك أن تترك نفسك لأمواج النعاس
اللذيذ التى تتقاذفك .. فكر فى جزيرة بالمحيط بها
كوخ .. الكوخ مصنوع من (البامبو) .. داخل الكوخ
يوجد بحار عجوز .. وبيغاء .. وقيثار .. و ...

* * *

كم الساعة الآن ؟ ..

لقد جاء الليل .. غريب هذا ! إن رأسى يعج بالخواطر
والأفكار .. لهذا جلست لأكتبها قبل أن تذوب كالآيس
كريم .. أفكارى هى أشبه بكيس ملى بالبيض الطازج ..
لو لم أخرجها فوراً فلسوف يهشم بعضها البعض ...
وقد انتهيت الآن فقط من كتابة مذكرات اليوم الثالث
والعشرين من يوليو أهم يوم فى حياة مصر .. وأغرب
يوم فى حياتى الخاصة ..

* * *

- هل حقاً انتهيت يا (آشتا) ؟ ..

- نعم يا د . (رفعت) .. أنت الآن حر .. لقد استرددت

ماديتك .. وما أغربه من ارتباط ! .. من المعتاد أن

الحرية تعنى الخلاص من المادية ..

- وهل .. هل سأظهر فى الصور ؟ ..

- بالتأكيد .. وسترى الشمس دون وجل ...

- وهل ستلتهم نكرياتى عنكما .. وعن شعب الأطياف ؟

- كان هذا منطقياً يا د . (رفعت) .. لكننا لن

نفعله .. لقد وجدنا فى رأسك عقلاً يمكنه استيعاب

الفكرة .. عقلاً يمكن أن يحتفظ بالأسرار .. عقلاً

شريفاً ..

ولا نطلب منك سوى وعد بأن تحفظ سرنا ..

- ولكن .. أليس من الأوفى والأسلم أن تزيلوا

ذكراكم من عقلى ؟

- بالعكس .. نحن بحاجة إلى (الماديين) .. يجب

أن نتعلم منهم أكثر حتى لا تحدث أخطاء جديدة ...

ستكون أنت صديقنا الوحيد من بينهم .. ولك أن

تتوقع زيارات أخرى منا ..

- إذن أنا حلقة الوصل ما بين العالم المادى وأرض

الأطياف ؟ ..

- نعم .. لو افترضنا أننى و(آشتا) مازلنا طيفين ..

الأربعاء ٢٤ يوليو :

ظللت حبس الفراش طيلة اليوم لا أجرؤ على الخروج إلى ضوء الشمس .. لا أدرى ما هو صواب وما هو وهم ...

* * *

السبت ٢٧ يوليو :

للأسف .. الشمس غائمة اليوم .. لن أعرف الحقيقة أبداً .. مدفوعاً بفضول لا يهدم اتجهت إلى كلية (الآداب) .. وسألت في قسم الفلسفة عن الدكتور (كاميليا) .. قالت السكرتيرة فى لا مبالاة .. وهى مستمرة فى الطباعة على الآلة الكاتبة :

- حظ حسن .. لقد عادت اليوم فقط من الإسكندرية ! سرت متوتراً نحو الغرفة التى علقت على بابها لافتة خشبية تقول (أ . د . كاميليا منصور) .. وقرعت الباب بحذر :

- ادخل !

دعائى الصوت الرجولى الخشن فدخلت .. كانت هى .. هى بعينها .. لكنى لاحظت أنها لم تبد سعيدة أو متحمسة للقاءى .. قلت لها وأنا أجلس :

- لم تتصلى بى منذ أربعة أيام ..

- أفندم !؟

- منذ أن جلسنا فى الكافتيريا نتحدث عن التلاشى ..

لم ...

رأيتها تنهض وقد رفعت كتفيتها .. وعلى وجهها أعتى علامات الغضب .. وعندئذ عرفت أنها حقاً ليست هى .. لون العينين مختلف .. الذقن مدبب ومشقوق .. التجاعيد أكثر .. المساحيق أقل .. ليست هى .. والآن يجب أن أقر ..

- هل جننت أيها المخبول ؟ .. أنا أجلس معك فى كافتيريا وأتصل بك فى دارك ؟ .. عم تتكلم بالضبط يا أستاذ ؟ .. أنا لم أرك فى حياتى .. يا لها من وقاحة وقلّة حياء ! .. يا (شعبان) ! .. (شعبان) !

لقد فتحت بوابة الجحيم على نفسى ، وحين تبدأ هاته السيدات قويات الشخصية القياديات فى الصراخ ، فلن يسكتن سوى الديناميت .. وهاهوذا (شعبان) الساعى يهرع إلى الغرفة ليعرف سبب هذا الصراخ ...

- خذ هذه الحثالة وألق بها إلى الخارج !

ثم تنهدت فى إعياء .. وأردفت :

- إنه يتهجم على ... !

* * *

خاتمة ..

إلى هنا تنتهي الفترة التي اكتبستها من مذكراتي ،
ولربما أعود لهذه المذكرات مرة أخرى حين أجد
ما يستحق .. فهي - قطعاً - ملأى بكلام لا طائل من
ورائه .. وخواطر سخيفة .. ومشاريع لم تتم قط ...

انتهت القصة إذن بهذا الموقف المحرج ، ووجدتني
أرسي إلى الخارج رمياً .. لكنني على الأقل تأكدت تماماً
من أن كل ما حدث لي لم يكن وهماً ...

قابلت د. (محمد شاهين) بعدها في (الفيشاوى) ،
وسألني عما حققت من نجاح في موضوع الزواج ،
فقلت له - بخبث - إنني لا أعرف سبب تبدل طباع
(كاميليا) ، وطلبت منه أن يتوسط لي عندها فوافق
متحمساً !..

وقد كان .. ! ..

صحيح أنها لم تطرده ولم تلق به في الشارع لأنها
تعرفه جيداً ، لكنها ظنت بحالته العقلية الظنون حين
راح يحكي لها تفاصيل لقائى معها .. بينما هي لم تكن
في القاهرة أصلاً ! ..

هذا عن (كاميليا) ..

أما عنى أنا .. فلا داعي لأن أقول : إنني هرعت إلى
ستوديو التصوير ، وطلبت التقاط صورة لي ..

وفي اليوم التالي وجدت صورتي المفزعة ، فبدت لي
أجمل ما رأيت في حياتي ..

ومن نافلة القول أن أقول إنني عدت أحمل الشمس ..
وصارت أشعتها الذهبية الغاتنة صديقتى الدائمة ..

* * *

أما عن آخر ذيول القصة - علاقتى بطلبتى - فقد
تكفل به (مدحت) نفسه .. الذي شرحت له مدى
توترى وتدهور صحتى في تلك الأيام الكئيبة ...

يذكر القارئ أنني تحدثت عن (أشخاص) ما .. في
مقدمة قصتي مع حارس الكهف (العدد السابع) ..

قلت لك : إنهم انصرفوا .. وأبيت أن أذكر أية
تفاصيل عنهم ..

الواقع أن الوقت قد حان لأعلن هذه الحقيقة التي
كنت أحاول إرجاءها بعض الوقت ..

إن (أشتا) و (أشتا) و (أشتا) - الثالث له ظروف
مماثلة لهما - مازالوا يزوروننى من حين لآخر ..

أحياناً يقرعون الباب ..

وأحياناً أجدهم فجأة أمامى داخل الشقة ..

طبعا هذا الكلام لا أجرؤ أن أخبر به أحداً سواك لأنه
يشبه - إلى حد كبير - ما يقوله المجانين ..

هؤلاء الضيوف غير المدعويين يجيلون إلى من حين
لآخر ليحكوا لى المزيد عن عالمهم ..

طبعاً لم تتجب (أشتا) لأن جسدها مجرد قشرة ، بلا
رحم ولا مبايض ولا أى شيء .. لكنهما سعيدان معاً ..
وهما - بعد ربع قرن أو أقل قليلاً - ينتقلان من بلد
لبلد .. ويعيشان فى إطار جديد فى كل مرة ..
والسبب - حتماً - هو شبابهما الدائم الذى سيثير
الأوقاويل حولهما إذا استقرا للأبد فى مكان واحد .. اليوم
هما زوجان يعملان فى محطة بنزين فى (فلوريدا) ..
غداً هما طالبان فى كلية الهندسة بـ (موسكو) .. بعد
غد هما يبيعان الشاي فى (غرزة) على طريقي
(سمبود) .. المهم أنهما معاً .. وأنهما يفران من
عسات الكاميرا ومن الشمس الساطعة ...

* * *

والآن ...

أسمع عواء - أو خرير - وحش أسطورى مرعب ،
يتحرك فى أقبية الأساطير الإغريقية قادمًا نحوى ..
ليضيف نكرى مروعة جديدة إلى نكرياتى ...
إن (المينوتور) قادم .. ومعنى هذا أن ندعو الله
ألا نكون نحن ضحيته القادمة .. سأحكى لكم التفاصيل
كلها .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
القاهرة

[تمت بحمد الله]

* * *

رقم الإبداع : ١٦٠٦

21

روايات مصرية للجيب
ماورا، الطبيعة
أسطورة عدو الشمس